

مَجَلـة شَهـرِيَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	ذو الحجـة ١٤٣٣ هـ
العدد الحادي عشر	نوفمبر ٢٠١٢ م

المشـرف العام — **عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمــــة** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک باسم:**	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک السنوي:**	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ **تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١**

محتويات العدد

الافتتاحية

السيد نواب صديق حسن خان في حياته العائلية

(٣-٣)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

صفاء حياته العائلية من مكدرات العيش والخلافات:

لقد حث الاسلام على الالتزام بكافة وسائل الوفاق والوئام والترابط والتآلف بين الزوجين، وحذر من كل ما يسبب القضاء على علائق المودة والترابط.

والحياة الزوجية -لكي تدوم بعيدة عن عوامل التفكيك وأسباب الفراق- تقتضي من الزوج أن يديرها بحنكة وحكمة وصبر وهدوء وحلم وألفة وتضحية وفطنة، بعيدا عن الأنانية والأثرة والعنف وسوء التدبير.

فرابطة الزواج يجب أن تكون من القوة بحيث تقبل المشاعر بدرجاتها المختلفة دون أن تهتز بها وتترنح فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

"استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وان أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء". (متفق عليه)

وقال أيضا: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر". (مسلم)

كانت جميع هذه الوصايا ماثلة أمام أعين السيد القنوجي رحمه الله وهو يقود أسرته، ويعايش زوجاته، فقد عاش عيشة متيقظة لا تسمح لعوامل التحلل والانفكاك العائلي أن تجد سبيلا للتسلل فيها، ووقف أمام هذه العوامل موقفا صلبا واجتازها -عند الابتلاء بها- بحلم وحكمة وعالجها ببصيرة وفطنة، ولم يستسلم قط للمواقف التي تجره إلى مخالفة الشرع، وبذلك ندرك سر سعادة حياته الزوجية وسلامتها من ألوان الشقاق والفراق والنزاع والخلاف.

وإليكم صورا من هذه الحياة السعيدة:

يقول السيد القنوجي في معرض ذكر عقده مع الملكة شاهجهان بيغم:

"ولله الحمد على أنه لم يقع بيني وبينها ـ أي الزوجة الملكة ـ لا قبل النكاح ولا بعده أمر غير ملائم ولا مخالف للشرع مما يمكن أن يعده حاسد أو حاقد من الظن السوء، والله على ما نقول شهيد". (إبقاء المنن: ١٢٧ــ١٢٨)

ويقول بعد ذكر وقعة رحيل زوجته الأولى السيدة ذكية بيغم:

"طبقا لحديث المصطفى ﷺ: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" فقد رضيت عنها وبرأت ذمتها عن جميع الحقوق التي كانت لي عليها، وسامحتها عن كل ما صدر منها من التقصيرات والزلات، غفر الله لنا ولها وجمعنا في دار كرامة ورحمة". (مآثر صديقي: ٢/٦١، إبقاء المنن: ٢٣٦)

والجدير بالذكر أن السيدة ذكية بيغم الزوجة الأولى للسيد القنوجي لم يكن أعجبها ـ كغيرها من الضرات ـ زواجه الثاني، وكانت مظاهر كرهها له بارزة في سلوكها وتعاملها مع زوجه السيد القنوجي. ولكن رحم الله النواب القنوجي إذ لم يرض قط أن يجعل سلوكها سببا في توتر العلاقات بينها وبينه، بل أعرض عن ذلك صفحا، وتعامل معها بعيدا عن مظاهر الانتقام، وأحبها ورضى عنها بما كان يرى فيها من صفاء العقيدة والالتزام بشعائر الدين من الصلاة والصوم وغير ذلك، واعتبرها زوجة سعيدة، وصرح بأنه لم يلحقه منها شيء يكدر صفو حياته طول عمرها. (انظر: إبقاء المنن: ٢٣٤)

● لقد أقلق زواج السيد القنوجي بالملكة مضاجع الحاقدين والحاسدين الذين كانوا ينتهبون ثروات الملكة بشتى المكائد مستغلين عدم وجود إدارة قوية ونظام تعزيري مناسب، فرأوا في شخصية السيد القنوجي عقبة في طريق استمرار استغلالهم هذا، فقاموا ضده وبذلوا قصارى جهدهم في إزاحته عن الطريق مستخدمين كل الوسائل والأساليب الجائرة والممنوعة شرعا، فبتسميم طعامه مرة وباختلاق الأكاذيب واختراع التهم والافتراءات مرة أخرى، وبمحاولة التفريق بينه وبين الملكة ثالثة، وبالسعي لدى كبار الحكام بالنميمة بغية القضاء بعزله رابعة، إلى غير ذلك من سلسلة المحاولات الممقوتة عرفا وشرعا، والذي يهمنا هنا ذلك الموقف الذي وقفه السيد القنوجي إزاء محاولة التفريق بينه وبين زوجته الملكة.

لقد سئم السيد القنوجي من مواجهة تلك المواقف العدائية الرامية إلى قطع العلاقة بينه وبين رفيقة حياته، فكان يفكر أحيانا في التجاوب إلى ذلك حسما للنزاع وحفاظا على سلامة

المملكة ووحدتها، ولكي يتفرغ للتأليف والعبادة بعيدا عن مشاغل الدنيا وصوارفها، ولكن قدر الله له الثبات ووفقه العزيمة ورباطة الجاش، فصبر واحتسب، ومضى ثابتا على موقفه، وأبى النزول إلى رغبة الحساد الفساق، ورفض أن يكون عونا للشيطان الذي أحب الأمور إليه، تمزيق شمل الأسرة وصدع كيانها وهدم أركانها، ومن جانب آخر صابرت الملكة واحتسبت، ولم ترض بإنهاء العلاقة الزوجية بينها وبين السيد القنوجي، بل صاحبته طول حياته وأكنت له الإخلاص والمودة، وواجهت الصعاب برحابة صدر في هذا السبيل. فلله درها. (انظر: إبقاء المنن، الصفحات: ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٥١)

● ذكر السيد محمد جعفر شاه فلواري أحدا أقرباء السيد القنوجي أنه لما كان حفل زواج ولدي السيد القنوجي - السيد نور الحسن والسيد علي حسن - لم توجه أمهما السيدة ذكية بيغم الدعوة إلى ضرتها السيدة شاهجهان بيغم للمشاركة في هذا الحفل، فلما رأى السيد القنوجي أن السيدة شاهجهان بيغم لم تذهب للمشاركة في حفل الزواج استفسرها عن سبب التخلف، فأجابت بأن السيدة ذكية لم تدعني إلى ذلك، فقال القنوجي: "لا، إن البيت بيتكِ، لن يمنعك أحد، فالتحقي بهم". (مقال للسيد الفلواري ملحق بآخر إبقاء المنن ص: ٣٤١ــ٣٤٢)

هذا يدل عى مدى حرص السيد القنوجي على التوفيق بين زوجتيه وإيجاد روح المحبة والتآلف والوئام بينهما حفاظا على سلامة الأسرة وسعادة الحياة الزوجية.

● ذكر السيد الفلواري المذكور أيضا أن السيدة شاهجهان بيغم كانت تُكِنُّ لجميع أولاد القنوجي الرحمة والمحبة وتعامل معهم كأولادها الحقيقيين، وقد زادت مخصصاتهم المالية بعد وفاة السيد القنوجي وجعلها ضعفين". (المصدر السابق ص: ٣٤٢)

● ذكر السيد القنوجي أن الملكة أرادت ذات مرة أن تفوض إليه جميع شؤون الدولة وتعينه مسئولا عنها طول الحياة، وقد اتخذت في سبيل ذلك بعض الاجراءات اللازمة، ولما علم القنوجي بذلك بذل غاية جهده لمنعها من ذلك، وذكر القنوجي أن صور بعض وثائق هذه الإجراءات موجودة في ملفات الدولة. (إبقاء المنن: ٢٤)

ومن جانب آخر تذكر المصادر الموثوقة أن السيد القنوجي كان شفيقا على ربيبة السيدة سلطان جهان بيغم ولية العهد، التي تولدت من زوج الملكة الأول، وكان يُكِنُّ لها تمام الحب والإخلاص، بل قد يفوق حبه لها على أولاده، ولم يسئ الظن بها ولا بأمها قط، ورباها

أحسن تربية وزوجها بكفء لائق بها، وكانت الملكة أرادت لأجل عقوق بنتها هذه ـ ولية العهد ـ أن يجعل زمام الدولة بيد القنوجي وأنجاله، فكان رفض القنوجي لذلك. ("السيد صديق حسن القنوجي ..." للدكتور أختر جمال ٤٩ــ٥٠)

ولننظر أيضا في ما يقوله القنوجي في الأسطر التالية:

إنني أجد نفسي قاصرا عن أداء حق الشكر والعرفان تجاه ما بذلته الملكة لي ولأولادي من عواطف المحبة والشفقة، أدعو الله أن يجزيها في الآخرة أجرا كبيرا، ويحفظها في الدنيا من جميع الشرور والفتن ويحسن خاتمتنا، آمين. (إبقاء المنن ص: ٢٢٣)

ويقول أيضا:

ولما تنحيت عن مزاولة الأعمال الحكومية في نهاية ذي القعدة من عام ١٣٠٢هـ سلمت إليّ الملكة وثيقة المساعدة في شئون الدولة مشتملة على إبراء ذمتي وخلو طرفي، وبحكم هذه الوثيقة نحن ـ أنا وأولادي ـ سالمون من جميع أنواع المحاسبة. (إبقاء المنن ص: ٢٢٣)

إن القصد من إيراد هذه النقول هو بيان ما توحي به من مظاهر المحبة والإخلاص والتآلف والوئام بين السيد القنوجي وزوجتيه، وخاصة الملكة، وأن كلا الطرفين كان يضمر لصاحبه جميع أنواع الاحترام والتقدير، ويعيشان متمتعين بكافة وسائل السعادة والطمأنينة، والحمد لله على ذلك.

انتباهه في أمر تربية الأولاد:

من المسئوليات التي تفرض نفسها على كواهل المنخرطين في سلك الحياة العائلية مسئولية رعاية الأولاد وتربيتهم ووقايتهم من الزلل والانحراف، إنه عنصر هام من عناصر الحياة العائلية، لا يمكن صرف النظر عنه ونحن نبحث في حياة السيد القنوجي العائلية.

إننا نجد هذا الجانب من جوانب حياته الزوجية مشرقا مثل سوابقه بل أكثر، وتتجلى مظاهر تميزه في هذا المضمار في اهتمامه البالغ وحسه المرهف نحو صلاحهم وسلامتهم، صلاحهم في الدين والدنيا، وسلامتهم من عوامل الزيغ والضلال، فلم يجلس السيد القنوجي مكتوف الأيدي من تربيتهم ولم يهملهم ـ كما هو دأب كثير من الآباء والمسئولين ـ رغم المعوقات المتعددة والمشاغل اللامتناهية من الأعمال الحكومية والإدارية ومسئوليات

المراكز العلمية والثقافية والاجتماعية التي كان يتولى الإشراف عليها إلى جانب الاشتغال بالتأليف والترجمة ومطالعة الكتب والاهتمام بطبعها ونشرها.

إننا مررنا ولا نزال نمر بنماذج كثيرة وشواهد عديدة من إهمال الأولاد وخذلانهم وصرف النظر عن رعايتهم وتوجيههم وتركهم عرضة للضياع والانزلاق بحجة الاشتغال العلمي أو الدعوي أو الاجتماعي أو السياسي أو غير ذلك، الأمر الذي يفرز إلى المجتمع نماذج متباينة وضروب متضاربة حيث تجد-في جانب-أبا مشغولا بالعلم والمعرفة متفانيا في خدمة الدين والدعوة آخذا على عاتقه مهمة الإصلاح والإرشاد، في حين ترى في الجانب الآخر ولدا أو أولادا بالغين في الإجرام منتهاه متفننين في أنواع الزيغ والفساد، كارهين كل ما له صلة بالدين والخلق والمروءة، يقف الوالد العلام منهم موقف المشجع أو المحايد لا المصلح والمغاير.

أما السيد القنوجي فإننا حين نستعرض حياته العائلية نجده-إلى جانب كونه زوجا مثاليا بمعنى الكلمة-والدا يقظا مدركا مسئوليته العظيمة ودوره المهم تجاه أبنائه وفلذات أكباده، فرباهم أحسن تربية وبذل جل همته لكي يراهم مستقيمين صالحين يعيشون حياة إسلامية، يقول رحمه الله:

"لقد رزقني الله أولادا ما هم بقليل حيث تتوق النفس إلى الاستزادة، ولا بكثير مشعر بالثقل أو الاشمئزاز، رزقني الله ابنين وبنتا واحدة، وإنهم-بالنظر إلى فتن هذا الزمن الأخير وبلاياه وبالنظر إلى أقرانهم وأمثالهم-في منحى عن كثير من آفات الدنيا والفسق والفجور حسب ما هو ظاهر من أحوالهم، ملتزمون بالصلاة والصيام والزكاة، وإن كانوا لم يبلغوا إلى المستوى الذي أريده من صميم قلبي من حفظ الأوقات والاشتغال في الطاعات وإعمار حياتهم بالكمالات، وذلك لصوارف سن الشباب وعمر اللهو واللعب، ولكن أرجو من الله ربي أن تكون رغبتهم إلى الله والرجوع إلى ما ينفع في الآخرة في ازدياد مستمر، وتكون خاتمتهم وخاتمتي على الإيمان وكلمة التوحيد، ...". (إبقاء المنن، ص: ١٤٩—١٥٠)

ومن اهتمامه البالغ بأولاده أن القنوجي رحمه الله اعتاد ان يدرسهم بنفسه بعض المواد من التفسير والحديث وفقه السنة ما بين المغرب والعشاء، وكان يحضر في هذه الدروس

آخرون من أهل العلم، لكن الحاسدين الحاقدين سعوا الى الحكام لإيقاف هذه الدروس. (انظر: ابقاء المنن: ٢٨٨)

ومن أعظم ما يدل على مدى استشعاره بمسئولية رعاية الأولاد تلك الوصايا العديدة التي خلفها القنوجي ضمن كتاباته القيمة، فهناك ٤ من هذه الوصايا المكتوبة، بعضها مخطوط، والبعض الآخر مطبوع، وكلها موجهة إلى أولاده، وهي كالآتي:

١ـ تخريج الوصايا من خبايا الزوايا (باللغة العربية، طبعة مصر)

٢ـ المقالة الفصيحة في الوصية والنصيحة (باللغة الفارسية، طبعة آگره)

٣ـ وصيت نامه أبو الوفاء (باللغة الأردية)

٤ـ بشنويد (باللغة الفارسية، مخطوط)

وقد ذكر السيد علي حسن خان معظم بنود هذه الوصايا في الجزء الرابع من كتابه "مآثر صديقي" بعضها حرفيا وبعضها ملخصا، والذي يمعن النظر في هذه الوصايا يجدها جامعة شاملة لمعظم نواحي الحياة الاعتقادية والعملية والعلمية والسلوكية، ولولا مخافة ازدياد صفحات هذا المقال لأوردت بعض هذه الوصايا كما هي، لكي يدرك القارئ مدى شمولها وإحاطتها لمعظم جونب الإسلام ولكن أكتفي بذكر الموضوعات الرئيسية لوصيتين منها.

فالوصية المكتوبة التي سلمها السيد القنوجي إلى زوجته عند توجهه إلى أداء فريضة الحج عام ١٢٨٥هـ ـ وهي موجهة إلى ابنيه السيد نور الحسن طيب والسيد علي حسن طاهر ـ تشتمل على الموضوعات التالية:

١ـ التحصيل العلمي وصون الكتب عن الضياع.

٢ ـ عدم الترجيح بين المذاهب الأربعة، واتباع السنة واجتناب الرأي والجدل والمناظرة.

٣ـ الترغيب في الكسب الحلال والاحتراز عن جميع أنواع مكاسب الحرام.

٤ـ حفظ النسب.

٥ـ بر الوالدة.

٦ـ الدعاء للأبوين.

٧ـ اللجوء إلى الله والتضرع إليه في كل صغيرة وكبيرة والعمل بمقتضى العلم.

٩ـ حفظ الوقت والاشتغال في النافع.

١٠ـ الدعوة لأولاده بخيري الدنيا والأخرى وتذكيرهم بنعمة الله عليهم وعليه.

أما الوصية المعروفة بالمقالة الفصيحة في الوصية والنصيحة فقد أعدها القنوجي وطبعها عام ١٢٩٨هـ حين أنهكه المرض وضعفه شدة الحمى، وهي تشتمل على ما يأتي:

١ـ التمسك الكامل بالإسلام والنفور الشديد عن كل دين غيره.

٢ـ العمل بالكتاب والسنة والاجتناب عن أوهام وظنون الفلاسفة.

٣ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٤ـ الاجتناب عن الألقاب والأسماء الممنوعة شرعا مما يتخذه الملوك لأنفسهم.

٥ـ حسن الاعتقاد بصحابة رسول الله ﷺ.

٦ـ الحذر من التسويف وزخارف الدنيا والإقبال على العمل الصالح واغتنام الفرص واستغلالها في الطاعات.

٧ـ الحذر من المشايخ الطرقيين.

٨ـ الابتعاد عن الصوفي الجاهل المتعبد بغير علم.

٩ـ الترغيب في الكسب الحلال والتحذير من الحرام.

١٠ـ اتخاذ الآداب والشعائر الموافقة للسنة المغنية عن كل شعار آخر.

١١ـ الابتعاد عن محدثات أيام عاشوراء من التماثيل المسماة بالتعزية، والنياحة ولبس السوداء وشق الجيوب وضرب الخدود الخ.

١٢ـ الحذر عن ما يسمى بمجالس الميلاد النبوي والأعياد المنسوبة الى بعض الأولياء والصلحاء.

١٣ـ الحذر من الأعراس والأعياد التي تقام على أضرحة الصالحين المشتملة على عديد من المحرمات والمكروهات.

١٤ـ التحذير من زيارة القبور الممنوعة والحث على الزيارة المشروعة الموافقة للهدي النبوي.

١٥ـ التحذير من البدع المتفرقة مثل التأذين على القبر بعد الدفن وتقبيل الإبهامين في الأذان الخ.

١٦ـ التحذير من الإسراف في حفلات الزواج والمناسبات الأخرى، وكذلك من التقاليد والعادات الغير المشروعية.

١٧ـ التحذير من اعتداد زواج الأرامل عارا أو ممنوعا.

١٨ـ التحذير من المغالاة في المهور.

١٩ـ التحذير من بعض بدع الجنائز من الإحداد الزائد والنياحة.

٢٠ـ المنع من الدعاء والاستمداد بغير الله من الأولياء وأصحاب القبور.

٢١ـ اختيار ذات الدين والخلق في النكاح والاجتناب عن أهل الرفض والتشيع خاصة.

٢٢ـ تقسيم الإرث على ضوء أحكام الشرع.

أعتقد أن هذه العناوين كافية للإشارة إلى تلك المشاعر والخواطر التي كان ينبض بها قلب القنوجي عليه الرحمة، وما يدور في ذهنه من المخططات الدقيقة لصيانة فلذات أكباده من تلك الموبقات المتنوعة التي كان يتأجج بها المجتمع الإسلامي آنذاك سواء في المجال العقدي أو العملي أو الخلقي أو السلوكي.

وهناك مظاهر أخرى عديدة تبرز سموه في الحياة العائلية يطول ذكرها، فأكتفي بهذا القدر، وأدعو الله العلي القدير أن يوفقنا لأداء ما يجب علينا نحو هذا العالم الرباني من الحقوق، وأن نعطيه حق قدره من الاحترام والتقدير، ونقوم بنشر تراثه والاستفادة من معارفه وإنجازاته، والله ولي التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبيه ومحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

عبر ومواعظ:

الملك فيصل وموريس بوكاي

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي — رحمه الله — عالم من علماء المغرب، ومن الدعاة إلى الله في بلاد المغرب، وحقق الله على يديه الخير الكثير، يجيد أكثر من خمس لغات عالمية، منها: الألمانية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والعبرية، وبينه وبين الشيخ عبدالعزيز بن باز — رحمه الله — صلة راسخة، ومحبة في الله ومن أجل دين الله، والدعوة إليه.

قابلته في آخر حياته، وقد تجاوز عمره التسعين، وحادثني في موضوعات شتى، وكان يترحم دائما على الملك عبد العزيز وعلى الملك فيصل — رحمهما الله — ويرى أن لهما مناقب في سبيل الإسلام، تذكر لتحمد وتشكر .. وأفاض فيما يعرف من ذلك .. وقال عن الملك فيصل: إن من أبرز مناقبه، أنه كان سببا في إسلام الطبيب الجراح الشهير الفرنسي، موريس بوكاي، الذي ألف كتباً بيّن فيها أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية، أن يعتقد أنه حق منزل من الله تعالى، ليس فيه حرف زائد ولا ناقص.

وكان هذا الكتاب الذي لقي رواجا عالميا، وأحدث اهتماما من المفكرين الغربيين بعد صدوره، واسمه: التوراة والإنجيل والقرآن في نظر العلم العصري، هو مدخل حديثي مع فضيلة الشيخ الهلالي، ليفيض في حديثه عن الملك فيصل، وليوضح أنه السبب، بعد توفيق الله لإسلام موريس بوكاي.

وقد قال عن الملك فيصل — رحمه الله — إنني كلما سئلت عن موريس بوكاي، وعن كتبه التي ترجمت لأكثر من ثنتي عشرة لغة، أجد نفسي مرتبطا بالحديث عن مكانة الملك فيصل، وعن اهتمامه بالإسلام، وما خص الله ذلك الرجل من الذكاء، الذي كان سببا في انقلاب الدكتور موريس بوكاي من عدو لدود للنبي صلى الله عليه وسلم ولدين الله الحق، إلى صديق حميم، يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن القرآن الكريم .. بكل ما عنده من قوة،

وينفذ بحماسته إلى قلوب المفكرين الغربيين، قبل المفكرين في بلاد الإسلام.. وهذا من فضل الله سبحانه، فهو الهادي لمن يشاء من عباده.

بدليل ما أخبرني -والكلام للدكتور الهلالي رحمه الله- به الدكتور موريس بوكاي نفسه عن صدى كتابه هذا وهو واحد من كتبه، بعدما طبع وترجم، وقبوله في المجتمعات التي طرح فيها: عربية وغربية، مما جعل هيئات علمية وجامعات في أنحاء العالم تطالب موريس بوكاي بإلقاء أحاديث، ومحاضرات في لقاءات ومؤتمرات وجامعات حول ما جاء في كتابه ذلك، ومقارنة ما توصل إليه، بمقارنات علمية وعقلية، وإجابات مقنعة، تبرهن على أن القرآن الكريم، من الله سبحانه وتعالى، وأن ما جاء في القرآن يصدقه الواقع العلمي الذي ارتقى إليه العقل البشري.

خاصة وأن نظرات علماء هذا الزمان ومفاهيم العلماء والمفكرين ترتبط بالحقائق العلمية، والنتائج الموثقة بالبرهان والتجربة، وهذا ما يجده المتمعن في القرآن الكريم، بعكس ما في التوراة والإنجيل، حسب مقارنات الدكتور بوكاي العلمية الصادقة، بالحقائق العلمية البارزة أمامه، ودلالة ذلك في النصوص الشرعية في القرآن الكريم.

فقلت للدكتور الهلالي: لعلك توضح عن كيفية اللقاء بين موريس بوكاي والملك فيصل رحمه الله، فقال: لقد كنت أذهب كل عام إلى أوروبا وفرنسا خاصة، للدعوة والاتصال بالجاليات العربية والمغربية، وكان الملك فيصل - رحمه الله - يأتي في بعض السنوات للعلاج .. وكان من بين الأطباء المشهورين الكبار في فرنسا، الذين يعالجونه موريس بوكاي، الذي أخبرني بأنه يطرح على مرضاه شبهات حول القرآن الكريم، وأنه من وضع محمد، وليس من عند الله، وأنه متناقض.

أضع الشبهات التي أخبرنا بها المستشرقون، حتى أقتنص منهم رجالا أدخلهم النصرانية، عن عقيدة دينية عندي بأهمية تنصير المسلمين، وصرفهم عن دينهم بما لدينا من شبهات رسخت في أذهاننا منذ الطفولة ونريد تحقيقها بعدما كبرنا. وفي سنة قدم الملك فيصل للعلاج فقلت: إن دخول فيصل أو تشكيكه في دينه، أكبر نصر لي وللتبشير كله، فجمعت أمري عندما دخلت عليه غرفته بعد العملية التي أجريت له .. ورأيت أن الجو مهيأ ، ولكي أدخل معه في حوار... لأنني تعودت كلما جاءني مريض مسلم محتاج إلى علاج جراحي

أعالجه نظرا لشهرته، وأكثر من يأتيه من المسلمين للعلاج هم الشخصيات المرموقة، وذات المكانة في بلادهم.

فيقول بوكاي: وكان كل من شُفي أقول له: ماذا تقول في القرآن؟ هل هو من الله تعالى، أنزل على محمد، أم هو كلام محمد ؟ نسبه إلى الله افتراء عليه؟ فيجيبني بقوله: هو من الله ومحمد صادق: فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله، وأن محمدا ليس صادقا. فيسكت ومضيت على ذلک زمنا، حتى جاءني الملک فيصل بن عبد العزيز، ملک المملكة العربية السعودية، فعالجته علاجا جراحيا حتى شُفي، فألقيت عليه السؤال المتقدم ذكره، والدكتور الهلالي في هذا ينقل كلام بوكاي بعد مقابلته بلسانه. فأجابني بهدوءه قائلا: إن القرآن كلام الله حق، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق ولا شک في ذلک. فقلت له: أنا لا أعتقد صدقه. فقال لي الملک فيصل: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم قرأته مرارا وتأملته. فقال لي: هل قرأته بلغته أم بغير لغته؟ أي بالترجمة: فقلت أنا ما قرأته بلغته، بل قرأته بالترجمة فقط: فقال لي: إذن أنت تقلد المترجم والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصوما منه الخطأ أو التحريف عمدا.

فعاهدني على أن تتعلم اللغة العربية، ثم اقرأ القرآن بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادک الخاطئ. فقال بوكاي: فتعجبت من جوابه، فقلت له: سألت كثيرا قبلک من المسلمين، فلم أجد الجواب إلا عندک. ووضعت يدي في يده، وعاهدته على أن لا أتكلم في القرآن، ولا في محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، ثم قرأت القرآن بلغته ، وأمعنت النظر فيه، حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق أو بالتكذيب. قال بوكاي: فذهبت من يومي ذلک إلى الجامعة الكبرى بباريس، إلى قسم اللغة العربية، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي، لتعليمي العربية ساعة واحدة كل يوم حتى يوم الأحد الذي هو يوم الراحة، ومضيت على هذا سنين لم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه (٧٣٠) ساعة كل ساعة درس، وقرأت القرآن بإمعان ووجدته هو الكتاب الوحيد المثقف بالعلوم العصرية، ومن يؤمن به ويدرک أنه منزل من الله لا يزيد ولا ينقص، أما التوراة والأناجيل ففيها كذب كثير لا يصدقها العالم فأسلمت ولله الحمد.

***

قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن طلحة بن عبد الله بن عوف، قال: صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب، فقال: لتعلموا أنها سنة. (رواه البخاري)

قوله (عن طلحة بن عبد الله بن عوف) الزهري المدني القاضي ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، يلقب طلحة الندى، ثقة مكثر فقيه من أوساط التابعين، روى عن عمه عبد الرحمن بن عوف وابن عباس وعثمان ابن عفان وغيرهم، وعنه الزهري وسعد بن إبراهيم وغيرهما، مات سنة (٩٧) وهو ابن (٧٢) سنة (صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب فقال) أي إنما قرأت الفاتحة أو رفعت بها صوتي كما في رواية (لتعلموا أنها) أي قراءة الفاتحة على الجنازة (سنة) وفي رواية للنسائي: فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة وجهر حتى أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده فسألته، فقال: سنة وحق. وللحاكم من طريق ابن عجلان: أنه سمع سعيد بن أبي سعيد يقول: صلى ابن عباس على جنازة فجهر بالحمد لله، ثم قال إنما جهرت لتعلمون أنها سنة. والمراد بالسنة: الطريقة المألوفة عنه ﷺ لا ما يقابل الفريضة، فإنه اصطلاح عرفي حادث. قال الأشرف: الضمير المؤنث لقراءة الفاتحة، وليس المراد بالسنة أنها ليست بواجبة بل ما يقابل البدعة، أي أنها طريقة مروية. وقال القسطلاني: إنها أي قراءة الفاتحة في الجنازة سنة، أي طريقة للشارع، فلا ينافي كونها واجبة. وقد علم أن قول الصحابي من السنة كذا حديث مرفوع عند الأكثر. قال الشافعي في الأم: وأصحاب النبي ﷺ لا يقولون: السنة إلا لسنة رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى - انتهى.

وليس في حديث الباب بيان محل القراءة وقد وقع التصريح به في حديث جابر بلفظ: وقرأ بأم القرآن بعد التكبيرة الأولى، أخرجه الشافعي في الأم، ومن طريقه الحاكم (ج١ص٣٥٨)، ومن طريق الحاكم البيهقي في سننه (ج٤ص٣٩) وسنده ضعيف، وفي حديث أبي أمامة عند النسائي بإسناد على شرط الشيخين بلفظ: قال: السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافتة. وفي رواية عزاها الحافظ في الفتح لعبد الرزاق والنسائي من حديث أبي أمامة قال: السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر، ثم يقرأ بأم القرآن، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يخلص الدعاء للميت، ولا يقرأ إلا في الأولى. قال الحافظ: إسناده صحيح.

والحديث دليل على مشروعية قراءة فاتحة الكتاب في صلاة الجنازة. وقد حكى ابن المنذر ذلك عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، ونقل ابن المنذر أيضا عن أبي هريرة وابن عمر أنه ليس فيها قراءة، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه وسائر الكوفيين، كذا في النيل. قلت: وممن كان يقرأ أيضا من الصحابة أبو هريرة وأبو الدرداء وأنس بن مالك وعبدالله بن عمرو بن العاص، ومن التابعين سعيد بن المسيب والحسن البصري ومجاهد والزهري، كما في المحلى. قال ابن التركماني: ومذهب الحنفية أن القراءة في صلاة الجنازة لا تجب ولا تكره، ذكره القدوري في التجريد - انتهى. ويكره القراءة عند المالكية إلا أن يقصد الخروج من الخلاف. قال الدسوقي: إن قصد بقراءة الفاتحة الخروج من خلاف الشافعي فلا كراهة، لكن لا بد من الدعاء قبلها أو بعدها - انتهى. واستدل مالك بعمل أهل المدينة، إذ قال: قراءة فاتحة الكتاب فيها ليست بمعمول بها في بلدنا بحال. وفيه أن عمل أهل المدينة ليس بحجة شرعية، وإنما الحجة هو قول الله وقول رسوله، إلا أنه قد روي عن أبي هريرة وأبي أمامة وسعيد ابن المسيب وغيرهم من علماء المدينة القراءة في الصلاة على الجنازة. وبما روى هو عن نافع أن عبدالله بن عمر كان لا يقرأ في الصلاة على الجنازة. وفيه أنه معارض بعمل غيره من الصحابة. ويمكن أن يكون المراد لا يقرأ أي شيئا من القرآن إلا فاتحة الكتاب وأيضا هو نفي يقدم عليه الإثبات، وأيضا قول الصحابي لا يكون حجة بالاتفاق إذا نفاه السنة، وبأن صلاة الجنازة مشابهة للطواف في أنها لا ركوع فيها ولا سجود فلا تفتقر للقراءة. وفيه أنه قياس في مقابلة النص، علا أنه قد أطلق عليها لفظ الصلاة فيكون لها حكم الصلاة في القراءة وغيرها إلا ما خص، وأيضا اتفقوا على أنها تفتقر إلى التكبير والقيام والنية والتسليم واستقبال القبلة والطهارة، فشبهها بالصلاة أبين وأقوى منه بالطواف.

واستدل الحنفية كما في البدائع وغيره بما روى أحمد عن ابن مسعود قال: لم يوقت لنا في الصلاة على الميت قراءة ولا قول. وفيه أنه إنما قال لم يوقت أي لم يقدر ولا يدل هذا على نفي أصل القراءة، وقد روي عنه أنه قرأ على جنازة بفاتحة الكتاب، ثم إنه لا يعارض ما روي من الأحاديث المرفوعة في القراءة، لأنه نفي فيقدم عليه الإثبات، وبأنها لما لم تقرأ بعد التكبيرة الثانية دل على أنها لا تقرأ فيما قبلها، لأن كل تكبيرة قائمة مقام ركعة، ولما لم يتشهد في آخرها دل على أنه لا قراءة فيها، ذكره الطحاوي. وفيه أن هذا الاستدلال ليس بشيء، لأنه قياس في مقابلة النص فلا يلتفت اليه، وبأنها شرعت للدعاء، ومقدمة الدعاء الحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا للقراءة، وفيه ما تقدم آنفاً أنه تعليل في مقابلة النص فهو مردود، إلا أن فاتحة الكتاب مشتملة على الحمد والثناء، فينبغي أن يكون افتتاح صلاة الجنازة بالفاتحة أولى وأحسن،

فلا وجه لإنكارها والمنع عنها. وقوله لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب يتناول بإطلاقه صلاة الجنازة، فيكون لها في القراءة حكم الصلوات الأخر إلا ما خص منها. وأجاب الحنفية عن حديث ابن عباس وما في معناه بأن قراءة الفاتحة في الصلاة على الميت كانت بنية الدعاء والثناء لا بنية القراءة والتلاوة. قال الطحاوي: من قرأها من الصحابة يحتمل أن يكون على وجه الدعاء لا التلاوة. وفيه أن هذا ادعاء محض لا دليل عليه، واحتمال ناشيء من غير دليل، فلا يلتفت اليه.

والحق والصواب أن قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة واجبة، كما ذهب اليه الشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم، لأنهم أجمعوا على أنها صلاة، وقد ثبت حديث "لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب" فهي داخلة تحت العموم، وإخراجها منه يحتاج إلى دليل، ولأنها صلاة يجب فيها القيام فوجبت فيها القراءة كسائر الصلوات، ولأنه ورد الأمر بقراءتها صريحا، فقد روى ابن ماجه بإسناد فيه ضعف يسير عن أم شريك قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب، وروى الطبراني في الكبير من حديث أم عفيف قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ على ميتنا بفاتحة الكتاب. قال الهيثمي: وفيه عبد المنعم أبو سعيد وهو ضعيف - إنتهى. والأمر من أدلة الوجوب. وروى الطبراني في الكبير أيضا من حديث أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا صليتم على الجنازة فاقرؤا بفاتحة الكتاب. قال الهيثمي: وفيه معلى بن حمران، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله موثقون، وفي بعضهم كلام.

هذا وقد صنف حسن الشرنبلالي من متأخري الحنفية في هذه المسئلة رسالة سماها "النظم المستطاب لحكم القراءة في صلاة الجنازة بأم الكتاب" وحقق فيها أن القراءة أولى من ترك القراءة، ولا دليل على الكراهة، وهو الذي اختاره الشيخ عبد الحي اللكهنوي في تصانيفه كعمدة الرعاية والتعليق الممجد وإمام الكلام.

ثم إنه استدل بحديث ابن عباس على الجهر بالقراءة في الصلاة على الجنازة: لأنه يدل على أنه جهر بها حتى سمع ذلك من صلى معه. وأصرح من ذلك ما ذكرنا من رواية النسائي بلفظ صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة وجهر حتى أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده فسألته، فقال: سنة وحق. وفي رواية أخرى له أيضا: صليت خلف ابن عباس على جنازة فسمعته يقرأ فاتحة الكتاب الخ ويدل على الجهر بالدعاء حديث عوف بن مالك الآتي، فإن الظاهر أنه حفظ الدعاء المذكور لما جهر به النبي في الصلاة على الجنازة. وأصرح منه حديث واثلة في الفصل الثاني. واختلف العلماء في ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه يستحب الجهر بالقراءة والدعاء فيها. واستدلوا بالروايات التي ذكرناها آنفا.

وذهب الجمهور إلى أنه لا يندب الجهر بل يندب الاسرار. قال ابن قدامة: ويسر القراءة والدعاء في صلاة الجنازة، لا نعلم بين أهل العلم فيه خلافا - انتهى. واستدلوا لذلك بما

ذكرنا من حديث أبي أمامة قال: السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافتة. الحديث أخرجه النسائي، ومن طريقه ابن حزم في المحلى (ج٥ص ١٢٩).
قال النووي في شرح المهذب: رواه النسائي بإسناد على شرط الصحيحين، وقال أبو أمامة هذا صحابي - انتهى. وبما روى الشافعي في الأم (ج١ص ٢٣٩) (والبيهقي ج٤ص ٣٩ من طريقه) عن مطرف بن مازن عن معمر عن الزهري قال: أخبرني أبو أمامة ابن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه - الحديث. وضعفت هذه الرواية بمطرف، لكن قواها البيهقي بما رواه في المعرفة والسنن من طريق عبيدالله بن أبي زياد الرصافي عن الزهري بمعنى رواية مطرف، وبما روى الحاكم (ج١ص ٣٥٩)، والبيهقي من طريقه (ج٤ص ٤٢) عن شرحبيل بن سعد قال حضرت عبدالله بن عباس صلى على جنازة بالأبواء فكبر ثم قرأ بأم القرآن رافعا صوته بها، صلى على النبي ﷺ، ثم قال: اللهم عبدك وابن عبدك - الحديث. وفي آخره ثم انصرف، فقال يا أيها الناس! إني لم أقرأ علناً (أي جهراً) إلا لتعلموا أنها سنة. قال الحافظ في الفتح: وشرحبيل مختلف في توثيقه - انتهى. وأخرج ابن الجارود في المنتقى من طريق زيد ابن طلحة التيمي قال: سمعت ابن عباس قرأ على جنازة فاتحة الكتاب وسورة وجهر بالقراءة، وقال: إنما جهرت لأعلمكم أنها سنة. وذهب بعضهم إلى أنه يخير بين الجهر والإسرار. وقال بعض أصحاب الشافعي: إنه يجهر بالليل كالليلية ويسر بالنهار. قال شيخنا في شرح الترمذي قول ابن عباس: إنما جهرت لتعلموا أنها سنة، يدل على أن جهره كان للتعليم أي لا لبيان أن الجهر بالقراءة سنة، قال وأما قول بعض أصحاب الشافعي يجهر بالليل كالليلية فلم أقف على رواية تدل على هذا - انتهى. وهذا يدل على أن الشيخ مال إلى قول الجمهور أن الإسرار بالقراءة مندوب، هذا ورواية ابن عباس عند النسائي بلفظ: فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة تدل على مشروعية قراءة سورة مع الفاتحة في صلاة الجنازة.

قال الشوكاني: لا محيص عن المصير إلى ذلك، لأنها زيادة خارجة من مخرج صحيح قلت: ويدل عليه أيضا ما ذكره ابن حزم في المحلى (ج٥ص ١٢٩) معلقا عن محمد بن عمرو بن عطاء أن المسور بن مخرمة صلى على الجنازة، فقرأ في التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة رفع بهما صوته، فلما فرغ قال: لا أجهل أن تكون هذه الصلاة عجماء، ولكن أردت أن أعلمكم أن فيها قراءة (رواه البخاري) وأخرجه أيضا الترمذي وأبو داود والنسائي والشافعي وابن حبان والحاكم والبيهقي وابن الجارود.

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٥/٣٧٩-٣٨٣)

من مطبوعات الجامعة السلفية

***

تصحيح المفاهيم

طرد الصبيان من المسجد

فضيلة الشيخ وحيد عبد السلام بالي

بعض القائمين على شئون المساجد إذا رأوا صبيا صغيرا قد جاء إلى المسجد بادروا بطرده بقسوة وغلظة بحجة المحافظة على نظافة المسجد، وهذه المعاملة قد تجعل بين هذا الطفل وبين المسجد حاجزا طوال حياته، بل لا بد من توجيه الأطفال بأسلوب حسن، وتنبيههم على أخطائهم برفق ولين، فهؤلاء الأطفال هم شباب الغد ورجال المستقبل، فإذا ما أحبوا المسجد وألفوه تعودوا عليه وحافظوا على الجماعة فيه، أما إذا ما بغضوا المسجد وكرهوه، نفروا عنه وقاطعوه حتى بعد بلوغهم.

يقول خير الدين وانلي: حدثنا أحد أصحاب المدارس الابتدائية الخاصة، أنه قام مع طلابه برحلة، فمروا على دير [١] من الأديار، فرحبت بهم المشرفة على الدير، ووزعت الحلوى على الأطفال، وخرجت معهم تدلهم على معالم الدير وتشرح لهم تاريخ بنائه، وتجيب على أسئلتهم، فلما خرجوا من الدير، مروا بمسجد القرية، فأحب الأستاذ أن يصلي مع طلابه، فلما دخل الأطفال المسجد، قام خادم المسجد يصيح في وجوههم، ويطردهم، تنزيها للمسجد عن دخول الصبيان إليه، قائلا: هذا مسجد وليس ملعبا للأطفال. اهـ [٢]

هذه الواقعة المحزنة تدل على مدى المعاملة الجافة للأطفال من بعض القائمين على المساجد، ويتذرعون في ذلك بحديث: "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم" (٣). وهو حديث ضعيف لا يحتج به.

يقول وانلي أيضا: الأطفال رجال المستقبل، وعدة الإسلام، فلا يجوز تضييعهم وتركهم مشردين في الأزقة محرومين من نعمة المسجد، والمسجد بيت الله، وعش المؤمن، ومدرسة المسلم.

---

[١] الدَّير: معبد من معابد النصارى، أكبر من الكنيسة.

[٢] المسجد في الإسلام (٣٦٩).

[٣] ضعيف جدا: رواه ابن ماجه (٧٥٠)، وفيه ثلاثة ضعفاء، ولذلك ضعفه ابن الجوزي والمنذري والبوصيري والعسقلاني. وقال الإشبيلي: لا أصل له. ولذلك قال الألباني: ضعيف لا يحتج به اتفاقا. وراجع "الأجوبة النافعة" (١١٤).

وقد حرص الإسلام على رعاية الأطفال، وتنشئتهم على الأخلاق الإسلامية والعادات القرآنية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"[١] وإن المدرسة الصحيحة لتعليم الصلاة هي المسجد، والطفل إذا شب على شيء شاب عليه، لذلك كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الشاب الذي نشأ في طاعة الله، كما ثبت في "الصحيحين".[٢]

فعلى الآباء اصطحاب أبنائهم معهم إلى المسجد، لينشؤوا على طاعة الله، ولقد كان الأطفال يأتون المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى شؤونهم، ويتلطف بهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب مرة على المنبر، فرأى الحسن والحسين يعثران في قميصيهما، فقطع الخطبة، ونزل حتى حملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: "صدق الله، {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما"[٣]، وكان صلى الله عليه وسلم ساجدا، ووراءه المسلمون، فأطال في سجوده حتى ظنوا أنه قبض، ولكنه أطال لأن أحد أسباطه[٤] كان قد امتطاه، فلم يشأ أن يعجل عليه حتى يقضي حاجته[٥] وجوز[٦] صلى الله عليه وسلم ذات يوم في الفجر، فقيل: يا رسول الله! لم جوّزت؟ قال: "سمعت بكاء صبي، فظننت أن أمه معنا تصلي، فأردت أن أفرغ أمه"[٧] وكان يقول: إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه.[٨] وقال أبو قتادة: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يؤم الناس، وأمامة بنت أبي العاص[٩] على عاتقه، فإذا ركع

---

[١] حسن: رواه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (٦٤٠٢)، وحسنه الألباني.

[٢] صحيح: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) بلفظ "سبعة يظلهم الله في ظله"، وذكر منهم شابا نشأ في طاعة الله.

[٣] حسن: رواه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وصححه الألباني.

[٤] أسباطه: السبط هو ولد الولد.

[٥] صحيح: رواه النسائي (١١٤١)، وأحمد (١٥٤٥٦)، وصححه الألباني.

[٦] جوّز: خفف.

[٧] صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في "صفة الصلاة" (٩٧).

[٨] صحيح: رواه البخاري: (٧٠٩) ومسلم (٤٩٦).

[٩] أمامة بنت أبي العاص: هي بنت ابنته زينب رضي الله عنها.

وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها [١] هكذا كانت معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال في المسجد، فلا يجوز أن ننهرهم، ونزجرهم، ونخرجهم من المسجد، فننفرهم من الصلاة ومن الإسلام، ونتركهم طعمة للفساد ودور السينما والأزقة.

أما حديث "جنبوا امساجدكم صبيانكم ومجانينكم" فهو حديث —مع ضعفه— فإنما يقصد به الصغار الذين يخشى أن يعرضوا المكان للنجاسة. وليس من الضروري أن يكون للأطفال صف خاص [٢] في المسجد فيمكن جعلهم بين المصلين، لتعليمهم واجتناب شغبهم وضحكهم إذا كانوا في صف خاص، ويجب [٣] أن يكون لهم مكان خاص للوضوء يتناسب وقصر قامتهم.

كما أنه من الواجب [٤] أن تكون لهم كتب خاصة جيدة في مكتبة المسجد تناسب أفكارهم ومداركهم وموجهون اختصاصيون بعلم النفس والتربية، يرشدون هؤلاء الأطفال، ويقصون عليهم قصص البطولات الإسلامية، ويفهمونهم مبادئ الإسلام وعظمته منذ نعومة أظفارهم، حتى يشبوا جنودا مخلصين لهذا الدين، يحملون رسالة الهدى في العالمين.

ومثل هذه المهمة تتطلب أن يكون خطباء المساجد وأئمتها ومؤذنوها على جانب كبير من الثقافة الإسلامية، وأن يكونوا أيضا كيسين لبقين، يعرفون كيف يستقبلون هذه الأغصان اليانعة، وكيف يحببون إليها الإسلام، ولهم في رسول الله أسوة حسنة، وقصة الأعرابي الذي بال في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهره، ولم يزجره، وإنما قال لأصحابه: "دعوه، وأريقوا على بوله ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين". [٥]

هذه القصة خير دليل على رحابة صدره صلى الله عليه وسلم مع الجاهلين، وسيرته صلى الله عليه وسلم في معاملة الأطفال مشهورة، فليكن المشرفون على شئون المسجد مبشرين لا منفرين، وميسرين لا معسرين، ولأن يهدي الله بهم امرأ خير لهم مما طلعت عليه الشمس. اهـ [٦]

***

[١] صحيح: رواه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).
[٢] لأن الحديث في ذلك ضعيف.
[٣] كذا قال، وليس ذلك بواجب بل من المستحسن.
[٤] كذا قال، وليس ذلك بواجب بل من المستحسن.
[٥] صحيح: رواه البخاري (٢٢٠).
[٦] المسجد في الإسلام (١٥١—١٥٥).

التوجيه الاجتماعي

تذكّر أيها العاق

د. عائض القرني

الحمد لله القائل: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا}. (الإسراء: ٢٣، ٢٤)

والصلاة والسلام على رسول الله الذي بعثه هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فإن من أعظم المعاصي التي عصي الله بها في الأرض: قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، ولذلك توعّد الله العاقّ والقاطع بالعذاب الأليم.

والعقوق جريمة شنيعة تقشعر لها الأبدان، ويندى لها الجبين، أنكرها حتى الجاهليون واليهود والنصارى في شرائعهم.

ولذلك يقشعر جلد المؤمن يوم يرى الابن كلما كبر وشبّ وقوي تغمّط حق والديه، وقد أذهبا العمر والشباب وزهرة الحياة في تربيته.. سهرا لينام، وجوعا ليشبع، وتعبا ليرتاح، ولما كبرا وضعفا ودنيا من القبر، وأصبحا قاب قوسين أو أدنى من الموت، أنكر حقهما وجعلهما في مكان من الذلة لا يعلمه إلا الله.

ولذلك قرن الله حقه بحقهما، وجعل من لوازم العبودية بر الوالدين وصلة الرحم، يقول جل ذكره: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} (الإسراء: ٢٣)، فقد قضى وأمر وأوجب —سبحانه وتعالى— بأن لا يعبد إلا هو، ومع عبادته يأتي بر الوالدين وصلة الرحم.

وانظر لهذه الصورة العجيبة للأب وهو محدودب الظهر، قليل الصبر، قد شاب رأسه ولحيته.

وصورة الأم وهي شمطاء الرأس، قد دنت من القبر، وأصبحت تتلهف على شبابها وصباها الذي أنفقته في تربية هذا الابن، فلما ترعرع وقوي ظهره، واشتد ساعده، كان نكالا وغضبا ونكدا على والديه.

{إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف} (الإسراء: ٢٣)، حتى كلمة (أف) على صغرها عند الناس لا تُقال للوالدين.

فقل لي بالله: أيهما أعظم، كلمة أف أم الذين جحدوا حق الوالدين وعقوهما وجعلوا جزاءهما السب والشتم والغلظة والنكال والقطيعة؟

حتى إنه وجد في المجتمع من يعيش في الفلل والشقق البهية، ويركب المراكب الوطية، ويأكل الموائد الشهية، ووالداه في فقر وفي حاجة ملحة، وفي ضنك لا يعلمه إلا الله.

أي قلوب هذه القلوب؟! وأي أرواح هذه الأرواح؟!

وقد بكت العرب في جاهليتها وإسلامها العقوق، وتوجعت واشتكت إلى بارئها منه.

في الأدب والسير: أن أعرابيا وفد على الخليفة وهو يبكي.

قال الخليفة: مالك؟

قال: أصبت بأعظم من مصيبة المال.

قال: ما مصيبتك؟

قال: ربّيت ولدي، سهرت ونام، أشبعته وجعت، تعبت وارتاح، فلما كبر وأصابني الدهر واحدودب ظهري من الأيام والليالي تغمط حقي، ثم بكى وقال:

وربّيته حتى إذا تركته أخا القوم واستغنى عن الطر شاربه

تغمط حقي ظالما ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه

قيل: فلُويت يد الابن وأصبحت وراء ظهره.

وفي السير وبعض التفاسير كالكشاف بأسانيد فيها نظر، أن رجلا وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم يشتكي قال: "مالك؟".

قال: مظلوم يا رسول الله من ابني.

قال: "أي ظلم"؟

قال: ربّيته، فلما كبر وضعُف بصري، وضعف عظمي، ودنا أجلي، تغمّط حقي فقابلني بالغلظة والجفاء.

قال صلى الله عليه وسلم: "هل قلت فيه شيئا"؟

قال: نعم، قلت فيه:

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تُعلُّ بما أجري عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا شاكيا أتململ

يقول: ما هذا جزائي، وما هذا رد الجميل، وما هذا حفظ المعروف، حتى الليلة التي تسقم فيها أبقى معك... أنت السقيم ولكني سقمت لسقمك ومرضت لمرضك.

فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم. [١]

وحُقَّ للقلوب اللينة، وللعيون الرقراقة بالدموع، أن تدمع لهذه المآسي التي وجدت في بلاد الإسلام، والتي شكت منها قلوب الوالدين.

فهل أظلم وهل أكبر وأشنع من أن ترى ابنك وقد أصبح في مصاف الرجال، وقد أعطيته شبابك وزهرة عمرك ولذة روحك وشذا نفسك، ثم ردّ عليك الجميل بالقبيح، فإذا صوته في البيت صائل.. لا ينفّذ لك أمرا.. ولا يخفض لك جناحا؟

إنها مأساة ما بعدها مأساة.

يقول صلى الله عليه وسلم وهو يُسأل عن الأعمال الصالحة أيها أزكى وأيها أعظم؟

قال: "الصلاة لوقتها".

قيل: ثم أي؟

قال: "بر الوالدين".

قيل: ثم أي؟

قال: "الجهاد في سبيل الله". [٢]

ويسافر صلى الله عليه وسلم بالقلوب ويحدثها عن رجل من بني إسرائيل كان بارا بوالديه.

ويا عجبا أن يوجد في اليهود والنصارى من تلين قلوبهم لوالديهم وهم أحفاد القردة والخنازير، وهم أعداء الله، وهم الذين لعنهم الله من فوق سبع سماوات. ويوجد في بلاد المسلمين مَن قسا قلبه، فلا يلين أبدا.

---

[١] أخرجه الطبراني، انظر: "مجمع الزوائد" برقم (٦٧٧)، وتفسير القرطبي (سورة الإسراء ٢٣-٢٤، ٥/٣٣٨).
[٢] أخرجه البخاري برقم (٧٣٦٨)، ومسلم برقم (٢١٢، ٢١٦).

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار.

فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق [1] قبلها أهلا ولا مالا، فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرخ [2] عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت — والقدح على يدي — أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون [3] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهم إن كن فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ..." الحديث [4].

إن العقوق مأساة وُجدت في المجتمعات وفي البيوت، وأصبحت من أعظم المشكلات على الآباء والأمهات.

وفي بعض الآثار يودّ الرجل في آخر الزمان أن يربّي جرو كلب ولا يربّي ابنا. [5]

نعم.. وُجد هذا، ورأينا ورأى غيرنا الآباء الذين أصبحوا في الشيخوخة وهم يتباكون ويتضرعون ويجأرون من هذه الذرية الظالمة.

فهل من عودة إلى الله؟

وهل من خفض جناح؟

وهل من بر وإحسان مع الآباء والأمهات؟

يأتي رجل للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: "أمك"، قال: ثم مَن؟ قال: "أمك"، قال: ثم مَن؟ قال: "أمك"، قال: ثم مَن؟ قال: "أبوك" [6].

---

[1] الغبوق: الشرب بالعشي.

[2] أي: أرجع.

[3] أي: يبكون ويصيحون من الجوع.

[4] أخرجه البخاري برقم (٢٢٣٨)، ومسلم برقم (٦٩٠٠).

[5] أخرجه الحاكم برقم (٥٥١٦)، وانظر: "مجمع الزوائد" برقم (١٢٤٤٠).

[6] أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٤)، ومسلم برقم (٦٤٥٢).

فالأم لها ثلاثة أرباع الحق، فهي التي حملت وأرضعت وألحفت وأدفأت، فجزى الله آباءنا وأمهاتنا خير الجزاء، وأسقاهم الله من الحوض المورود، فلا يظمؤون بعد تلك الشربة أبدا.

نعم.. إن بر الوالدين قضية كبرى، ومن فوائده:

- أن يهديك الله سواء السبيل.
- وأن يصلح ذريتك.
- وأن يمدّك بعون منه.
- وأن يرزقك قبولا في الناس.
- وأن يسدّدك في أقوالك.

ومن آثار العقوق: اللعنة من الله (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (محمد ٢٢، ٢٣).

قال بعض أهل العلم: أصمّهم فلا يسمعون، وأعمى أبصارهم فلا يتدبرون، ولا يتفكرون، ولا يعقلون.

قال تعالى: {والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار} (الرعد: ٢٥).

وصحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يدخل الجنة قاطع"[(١)]، وهو مَن قطع رحمه ووالديه، قطع الله حبله من السماء، وقطع ذمته وعهده.

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله الرحم تعلقت بالعرش وقالت: يا رب، هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب.

قال: فذلك لك، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته[(٢)]. فأنزلها الله في الأرض.

والغريب أن الجاهليين وهم يعبدون الوثن يفتخرون بصلة الرحم.

يقول المقنع الكندي الجاهلي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٤٧)، ومسلم برقم (٦٤٧٢، ٦٤٧٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١١، ٥٨٥٠، ٧٣٣٦)، ومسلم برقم (٦٤٧٠).

إذا أكلوا الحمي وفرت لحومهم وإن هتكوا مجدي بنيت لهم مجدا
ولست لأحمل أي حقد عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لقد كان أرق الناس وأحلم الناس الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك ذكر الله خلقه ومجّد سجاياه في القرآن فقال: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم: ٤). وقال: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} (آل عمران: ١٥٩).

وقد بلغ في صلة الرحم مبلغا عظيما ضرب به المثل على مدى التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه صلى الله عليه وسلم.

قام أقاربه وأبناء عمه فأخرجوه من مكة وطاردوه وشتموه وسبوه وآذوه، وحاربوه في المعارك، ونازلوه في الميدان، وقاموا عليه بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية.

فلما انتصر ودخل مكة منتصرا، ووقفت له الأعلام مكبرة، وطنت لذكر نصره الجبال، وقف على حِلق باب الكعبة صلى الله عليه وسلم وهو يقول للقرابة والعمومة: "ما ترون أني فاعل بكم"؟

فقالوا وهم يتباكون: أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". [1]

وكأنه يقول: عفا الله عنكم وسامحكم الله.

ويأتي ابن عمه أبو سفيان بن الحارث فيسمع بالانتصار وهو قد آذى الرسول صلى الله عليه وسلم وسبّه، فيأخذ أطفاله ويخرج من مكة، فيلقاه علي بن أبي طالب فيقول له: إلى أين تذهب؟

فيقول: أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعا وعريا، والله إن ظفر بي محمد ليقطعني بالسيف إربا إربا.

فيقول علي وهو يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم: أخطأت يا أبا سفيان، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصل الناس وأبر الناس، فعُد إليه وسلم عليه بالنبوة وقُل له كما قال إخوة يوسف ليوسف: {تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين} (يوسف: ٩١).

فأتى بأطفاله ووقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته {تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين}.

[1] "سيرة ابن هشام" (٤١١/٢)، وانظر: "سنن البيهقي الكبرى" برقم (١٨٦٤٨).

فبكى صلى الله عليه وسلم ونسي تلك الأعمال والأيام، وتلك الصحف السوداء وقال لهم: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين} (يوسف: ٩٢).

فهل من مقتدٍ بأفعاله وأخلاقه؟ فإنه هو الأسوة الحقة، وإن اتباعه نجاة من العار والدمار.

تأتيه أخته صلى الله عليه وسلم وقد ابتعدت عنه ما يقارب أربعين سنة وهي لا تعرفه وهو لا يعرفها، فتأتي لتسلّم على أخيها من الرضاعة وهو تحت سدرة، والناس بسيوفهم بين يديه وهو يوزّع الغنائم، فتستأذن، فيقول لها الصحابة: مَن أنتِ؟

فتقول: أنا أخت الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث، أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية.

فيخبرون الرسول صلى الله عليه وسلم فتترقرق الدموع في عينيه، ويقوم لها ليلقاها في الطريق ويسلم عليها بعد طول المدة وبُعد الوحشة والغربة، ويُجلسها مكانه ويظللها من الشمس.[١] تصوّروا رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، يُظلل هذه العجوز من الشمس لرضعة واحدة؟

فأين الذين قطعوا عمّاتهم وخالاتهم وبناتهم وأخواتهم، بل حتى الميراث الذي أحله الله لهن حرموه عليهن.

وقد سمعنا من العجائز الطاعنات في السن مَن تقف الواحدة تبكي وتقول: ظلمني.. أنصفني الله منه.

فيسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أخته عن أحوالهم ثم يقول لها: "اختاري الحياة هنا أو تريدين أهلك"؟

فتقول: أريد أهلي [٢]. فيعطيها المال ليُعلم الناس صلة الأرحام.

فالله الله في صلة الأرحام وبر الوالدين، ففيهما الخير الكثير والأجر العميم من الله سبحانه، وفيهما من تقريب القلوب لبعضها وإزالة الشحناء والغلّ فيما بينها.

فبرّوا آباءكم وأمهاتكم، وصِلُوا أرحامكم لتدخلوا جنة مولاكم.

فقد قال صلى الله عليه وسلم كما سبق: "لا يدخل الجنة قاطع"، أي قاطع رحم.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

***

---

[١] انظر: "زاد المعاد" فصل في غزوة أوطاس.

[٢] انظر: المصدر السابق.

آداب إسلامية

آداب الحج

(٣)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٦٠- يستحب أن يشرب الحاج ماء زمزم بعد فراغه من طواف الإفاضة لحديث جابر رضي الله عنه قال في حديثه: "فأفاض - رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلوا فشرب منه. [١]

وإن شُرب ماء زمزم ليس من مناسك الحج. قال النووي: وأما زمزم فهي البيئرة المشهورة في المسجد الحرام بينها وبين الكعبة ثمان وثلاثون ذراعا، قيل سميت زمزم لكثرة مائها، يقال ماء زمزم، وزمزوم، وزمازم إذا كان كثيرا، وقيل لضم هاجر رضي الله عنها لمائها حين انفجرت وزمها إياه، وقيل: لزمزمة جبرئيل عليه السلام وكلامه عند فجره إياها، وقيل: إنها غير مشتقة. [٢]

٦١- إن السنة للحاج أن يبدأ أول قدومه بطواف القدوم، ويقدمه على كل شيء، وأن يستلم الحجر الأسود في أول طوافه، وأن يرمل في ثلاث طوافات من السبع ويمشي في الأربع الأخيرة. [٣]

٦٢- إن القارن لا يتحلل بالطواف والسعي، ولابد له في تحلله من الوقوف بعرفات، والرمي، والحلق، والطواف كما في الحاج المفرد، لحديث حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله! ما شأن الناس حلوا ولم تحل أنت من عمرتك قال: إني لبّدت رأسي، وقلّدت هديي، فلا أحلل حتى أنحر. [٤]

٦٣- استحباب التلبيد، وتقليد الهدي للحديث المذكور آنفا.

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب في حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢] شرح صحيح مسلم ١/٤٠٠.
[٣] شرح صحيح مسبلم ١/٤٠٠.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد.

٦٤- جواز القران وجواز إدخال الحج على العمرة قبل الطواف. فعن نافع أن عبد الله بن عمر خرج في الفتنة معتمرا وقال: إن صُددت عن البيت صنعنا كما صنعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج، فأهل بعمرة، وسار حتى إذا ظهر على البيداء التفت إلى أصحابه فقال: ما أمرهما إلا واحد، أشهدكم أني قد أوجبت الحج مع العمرة، فخرج حتى إذا جاء البيت طاف به سبعا وبين الصفا والمروة سبعا لم يزد عليه، ورأي أنه مجزئ عنه، وأهدى. [١]

٦٥- إن المعتمر لا يتحلل إلا بالطواف والسعي والحلق لحديث عمرو بن دينار قال: سألنا ابن عمر عن رجل قدم بعمرة، فطاف بالبيت، ولم يطف بين الصفا والمروة أيأتي امرأته؟ فقال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاف بالبيت سبعا، وصلى خلف المقام ركعتين، وبين الصفا والمروة سبعا، وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. [٢]

٦٦- يشرع الوضوء للطواف، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله، فعن محمد بن عبد الرحمن قال في حديثه: "أول شيء بدأ به حين قدم مكة أنه -رسول الله صلى الله عليه وسلم- توضأ، ثم طاف بالبيت [٣] الحديث.

٦٧- إن المحرم بالحج إذا قدم مكة ينبغي له أن يبدأ بطواف القدوم، ولا يفعل شيئا قبله، ولا يصلي تحية المسجد، بل أول شيء يصنعه الطواف لحديث محمد بن عبد الرحمن قال في حديثه: "ولا أحد ممن مضى ما كانوا يبدؤون بشيء حين يضعون أقدامهم أول من الطواف بالبيت، ثم لا يحلون. [٤] الحديث.

٦٨- يستحب الإشعار، والتقليد في الهدايا من الإبل، والإشعار فهو أن يجرحها في صفحة سنامها اليمنى بحربة، أو سكين، أو حديدة، أو نحوها، ثم يسلت الدم عنها، وأصل الإشعار والشعور الإعلام والعلامة. [٥]

لحديث ابن عباس قال: "صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بناقته، فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن، وسلت الدم، وقلدها نعلين، ثم ركب راحلته، فلما استوت به على البيداء أهلّ بالحج. [٦]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز التحلل بالإحصار وجواز القرآن... الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب إن المحرم بعمرة لا يتحلل بالطواف قبل السعي الخ.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب إن المحرم بعمرة لا يتحلل بالطواف قبل السعي الخ.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب إن المحرم بعمرة لا يتحلل بالطواف قبل السعي الخ.
[٥] شرح صحيح مسلم ٤٠٧/١.
[٦] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب إشعار البدن وتقليده عند الإحرام.

٦٩– يستحب أن يكون تقصير المعتمر، أو حلقه عند المروة، لأنها موضع تحلله كما يستحب للحاج أن يكون حلقه، أو تقصيره في منى، لأنها موضع تحلله وحيث حلقا، أو قصرا من الحرم كله جاز، فعن ابن طاؤس قال: قال ابن عباس: قال لي معاوية: أعلمت أني قصرت من رأس النبي صلى الله عليه وسلم عند المروة بمشقص، فقلت له: لا أعلم هذه إلا حجة عليك. (١)

٧٠– ويجوز الاقتصار على التقصير وإن كان الحلق أفضل سواء في ذلك الحاج أو المعتمر إلا أنه يستحب للمتمتع أن يقصر في العمرة، ويحلق في الحج، ليقع الحلق في أكمل العبادتين للحديث السابق.

٧١– يستحب رفع الصوت بالتلبية بشرط أن يكون رفعا مقتصدا بحيث لا يؤذي نفسه، والمرأة لا ترفع بل تسمع نفسها، لأن صوتها محل فتنة، لحديث أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرخ بالحج صراخا، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نجعلها عمرة، إلا من ساق الهدي، فلما كان يوم التروية، ورُحنا إلى منى أهللنا بالحج. (٢)

٧٢– جواز العمرة في أشهر الحج للحديث السابق.

٧٣– يستحب دخول مكة من الثنية العليا، والخروج منها من السفلى، لحديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق العرس، وإذا دخل مكة دخل من الثنية العليا، ويخرج من الثنية السفلى. (٣)

٧٤– أن يغتسل لدخول مكة، وأن يبيت بذي طوى، وأن يدخل مكة نهارا لحديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذي طوى حتى أصبح، ثم دخل مكة، وكان عبدالله يفعل ذلك. (٤)

وفي رواية عن نافع أن ابن عمر كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح، ويغتسل، ثم يدخل مكة نهارا، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله. (٥)

٧٥– يستحب أن يرمل في الطوافات الثلاث الأول من السبع، ولا يُسن ذلك إلا في طواف العمرة، وفي طواف واحد في الحج، لحديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز تقصير المعتمر من شعره الخ.

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز التمتع في الحج والقران.

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج من الثنية السفلى الخ.

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة الخ.

(٥) رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة الخ.

وسلم كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خبّ ثلاثا، ومشى أربعا، وكان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة، وكان ابن عمر يفعل ذلك. [١]

٧٦- يجب الترتيب بين الطواف والسعي، وإنه يشترط تقدم الطواف على السعي، فلو قدم السعي لم يصح السعي لحديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج والعمرة أول ما يقدم، فإنه يسعى ثلاثة أطواف بالبيت، ثم يمشي أربعا، ثم يصلي سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة. [٢]

٧٧- استحباب استلام الحجر الأسود في ابتداء الطواف، وهو سنة من سنن الطواف بلا خلاف، فعن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف حين يقدم يخب ثلاثة أطواف من السبع. [٣]

٧٨- إن الرمل يشرع في جميع المطاف من الحجر إلى الحجر لحديث ابن عمر قال: رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثا، ومشى أربعا. [٤]

قال النووي: فيه بيان أن الرمل يشرع في جميع المطاف من الحجر إلى الحجر، وأما حديث ابن عباس المذكور بعد هذا بقليل: "وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين" فمنسوخ بالحديث الأول، لأن حديث ابن عباس كان في عمرة القضاء سنة سبع قبل فتح مكة، وكان في المسلمين ضعف في أبدانهم. [٥]

٧٩- يستحب أن يقبل اليد بعد استلام الحجر الأسود إذا عجز عن تقبيل الحجر لحديث نافع قال: "رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ثم قبل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله. [٦]

٨٠- يجوز الطواف راكبا، وأن يستحب استلام الحجر، وأنه إذا عجز استلامه بيده استلمه بعود، لحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن. [٧]

---

[١] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف في العمرة وفي الأول في الحج.

[٢] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف في العمرة الخ.

[٣] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف في العمرة الخ.

[٤] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف في العمرة الخ.

[٥] شرح صحيح مسلم ١/٤١١.

[٦] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.

[٧] رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعيره الخ.

٨١– إن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج، لا يصح الحج إلا به، ولا يجبر بدم ولا غيره لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى، وقال: "خذوا عني مناسككم".

٨٢– إن السعي في الحج والعمرة لا يكرر، بل يقتصر منه على مرة واحدة، ويكره تكراره لأنه بدعة، لحديث جابر بن عبد الله يقول: "لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا.[1]

٨٣– يُسن أن يستديم الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة غداة يوم النحر لحديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الفضل من جمع قال: فأخبرني ابن عباس أن الفضل أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة.[2]

٨٤– ويستحب أن يديم التلبية بعد الوقوف بعرفات، فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله، ونحن بجمع: سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام: "لبيك اللهم لبيك".[3]

٨٥– يستحب للحاج أن يلبي، ويكبر في الذهاب من منى إلى عرفات يوم عرفة لحديث عبد الله بن عمر عن أبيه قال: غدونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى إلى عرفات، منا الملبي، ومنا المكبر.[4]

٨٦– يستحب أن يجمع بين المغرب والعشاء في هذه الليلة في المزدلفة لحديث كريب مولى ابن عباس قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: "أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات، فلما انتهى إلى الشعب نزل، فبال، ولم يقل أسامة: أراق الماء، قال: فدعا بماء، فتوضأ وضوءا ليس ببالغ قال: فقلت يا رسول الله! الصلاة قال: الصلاة أمامك قال: ثم سار حتى بلغ جمعا، فصلى المغرب والعشاء.[5]

٨٧– يستحب أن يبادر بصلاتي المغرب والعشاء أول قدومه المزدلفة، ويجوز تأخيرهما إلى قبيل طلوع الفجر لحديث كريب مولى ابن عباس قال: "فلما جاء– رسول الله

---

[1] رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي لا يكرر.
[2] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة.
[3] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج الخ.
[4] رواه مسلم، كتاب الحج، باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة.
[5] رواه مسلم، كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة في هذه الليلة.

صلى الله عليه وسلم — المزدلفة نزل، فتوضأ، فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء، فصلاها، ولم يصل بينهما شيئا. [١]

٨٨— يستحب أن يصلى المغرب في وقت العشاء بجمع، وهي المزدلفة، ويصلي الفجر يومئذ قبل ميقاتها المعتاد، ولكن بعد تحقق طلوع الفجر، لحديث عبد الله بن مسعود قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة إلا لميقاتها إلا صلاتين، صلاة المغرب والعشاء بجمع، وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها. [٢]

٨٩— يجوز الدفع من مزدلفة قبل الفجر لحديث عائشة قالت: كانت سودة امرأة ضخمة ثبطة، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تفيض من جمع بليل، فأذن لها [٣] الحديث.

٩٠— يستحب الوقوف عند المشعر الحرام بالدعاء والذكر لحديث ابن شهاب أن سالم بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقدم ضعفة أهله، فيقفون عند المشعر الحرام بالمزدلفة بليل، فيذكرون الله ما بدا لهم [٤] الحديث.

٩١— يستحب أن يكون الرمي من بطن الوادي، وأن تكون مكة عن يسار الرامي، ويكبر مع كل حصاة لحديث عبد الرحمن بن يزيد قال: رمى عبد الله بن مسعود جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، قال: فقيل له: إن ناسا يرمونها من فوقها، فقال عبد الله بن مسعود: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. [٥]

قال النووي: فيه فوائد، منه: إثبات رمي جمرة العقبة يوم النحر، وهو مجمع عليه، وهو واجب، وهو أحد أسباب التحلل، وهي ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الإفاضة مع سعيه إن لم يكن سعى، والثالث: الحلق عند من يقول: إنه نسك وهو الصحيح، فلو ترك رمي جمرة العقبة حتى فاتت أيام التشريق فحجه صحيح وعليه دم، هذا قول الشافعي والجمهور، وقال بعض أصحاب مالك: الرمي ركن لا يصح الحج إلا به، وحكى ابن جرير عن بعض الناس أن رمي الجمار إنما شُرع حفظا للتكبير، ولو تركه، وكبّر أجزاه، ونحوه عن

---

[١] رواه مسلم، كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة الخ.
[٢] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب زيادة التغليس لصلاة الصبح يوم النحر قبل ميقاتها.
[٣] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن الخ.
[٤] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن الخ.
[٥] رواه مسلم، كتاب الحج، باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي الخ.

عائشة رضي الله عنها، والصحيح المشهور ما قدمناه، ومنها: كون الرمي بسبع حصيات وهو مجمع عليه.

ومنها: استحباب التكبير مع كل حصاة، وهو مذهبنا ومذهب مالك والعلماء كافة، قال القاضي: "وأجمعوا على أنه لو ترك التكبير لا شيء عليه".

ومنها: استحباب كون الرمي من بطن الوادي، فيستحب أن يقف تحتها في بطن الوادي، فيجعل مكة عن يساره، ومنى عن يمينه، ويستقبل العقبة والجمرة ويرميها بالحصيات السبع، وهذا هو الصحيح في مذهبنا، وبه قال جمهور العلماء، وقال بعض أصحابنا: يستحب أن يقف مستقبل الجمرة مستدبرا مكة، وقال بعض أصحابنا: يستحب أن يقف مستقبل الكعبة، وتكون الجمرة عن يمينه، والصحيح الأول. وأجمعوا على أنه من حيث رماها جاز سواء استقبلها أو جعلها عن يمينه، أو عن يساره، أو رماها من فوقها، أو أسفلها، أو وقف في وسطها ورماها، وأما رمي باقي الجمرات في أيام التشريق فيستحب من فوقها. [١]

٩٢– يستحب الرمي راكبا لحديث جابر يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه. [٢]

قال النووي: فيه دلالة لما قاله الشافعي وموافقوه أنه يستحب لمن وصل منى راكبا أن يرمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، ولو رماها ماشيا جاز، وأما من وصلها ماشيا فيرميها ماشيا وهذا في يوم النحر، وأما اليومان الأولان من أيام التشريق فالسنة أن يرمي فيهما جميع الجمرات ماشيا، وفي اليوم الثالث يرمي راكبا وينفر، وهذا كله مذهب مالك والشافعي وغيرهما، وقال أحمد وإسحاق: يستحب يوم النحر أن يرمي ماشيا، قال ابن المنذر: وكان ابن عمر وابن الزبير وسالم يرمون مشاة، قال: وأجمعوا على أن الرمي يجزيه على أي حال رماه إذا وقع في المرمى. [٣]

---

[١] شرح صحيح مسلم ١/٤١٨.

[٢] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا الخ.

[٣] شرح صحيح مسلم ١/٤١٩.

٩٣– يشرع الرمي في أيام التشريق بعد الزوال لحديث جابر بن عبد الله قال: "رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة يوم النحر ضُحى، وأما بعد فإذا زالت الشمس". [١]

قال النووي: "واعلم أن رمي جمار أيام التشريق يشترط فيه الترتيب، وهو أن يبدأ بالجمرة الأولى، التي تلي مسجد الخيف، ثم الوسطى، ثم جمرة العقبة، ويستحب أن يقف عقب رمي الأولى عندها مستقبل القبلة زمانا طويلا يدعو ويذكر الله، ويقف كذلك عند الثانية، ولا يقف عند الثالثة، ثبت معنى ذلك في صحيح البخاري من رواية ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويستحب هذا في كل يوم من الأيام الثلاثة والله أعلم. ويستحب رفع اليدين في هذا الدعاء عندنا وبه قال جمهور العلماء، وثبت في صحيح البخاري من رواية ابن عمر في حديثه الذي قدمناه. [٢]

٩٤– الحلق والتقصير كلاهما جائزان، ولكن الحلق أفضل من التقصير لما ثبت في الحديث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين؟ يا رسول الله! قال: رحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله! قال: والمقصرين. [٣]

قال النووي: "هذا كله تصريح بجواز الاقتصار على أحد الأمرين إن شاء اقتصر على الحلق، وإن شاء على التقصير، وتصريح بتفضيل الحلق، وقد أجمع العلماء على أن الحلق أفضل من التقصير، وعلى أن التقصير يجزئ إلا ما حكاه ابن المنذر عن الحسن البصري إنه كان يقول: يلزمه الحلق في أول حجة، ولا يجزئه التقصير، وهذا إن صح عنه مردود بالنصوص وإجماع من قبله، ومذهبنا المشهور أن الحلق والتقصير نسك من مناسك الحج والعمرة وركن من أركانهما، لا يحصل واحد منهما إلا به، وبهذا قال العلماء كافة، وأقل ما يجزئ من الحلق والتقصير عند الشافعي ثلاث شعرات، وعند أبي حنيفة ربع الرأس، وعند أبي يوسف نصف الرأس، وعند مالك وأحمد أكثر الرأس، وعن مالك رواية أنه كل الرأس، وأجمعوا أن الأفضل حلق جميعه، أو تقصير جميعه، ويستحب أن لا ينقص في التقصير عن

---

[١] رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان وقت استحباب الرمي.

[٢] شرح صحيح مسلم ٤٢٠/١.

[٣] رواه مسلم، كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير.

قدر الأنملة من أطراف الشعر، فإن قصّر دونها جاز لحصول اسم التقصير، والمشروع في حق النساء التقصير، ويكره لهن الحلق، فلو حلقن حصل النسك، ويقوم مقام الحلق والتقصير النتف، والإحراق والقص وغير ذلك من أنواع إزالة الشعر، واتفق العلماء على أن الأفضل في الحلق والتقصير أن يكون بعد رمي جمرة العقبة، وبعد ذبح الهدي إن كان معه، وقبل طواف الإفاضة، وسواء كان قارنا أو مفردا، وقال ابن الجهم المالكي: لا يحلق القارن حتى يطوف ويسعى، وهذا باطل مردود بالنصوص، وإجماع من قبله، وقد ثبتت الأحاديث بأن النبي صلى الله عليه وسلم حلق قبل طواف الإفاضة، وقد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا في آخر أمره، ولبّد المحرم رأسه فالصحيح المشهور من مذهبنا أنه يستحب له حلقه في وقت الحلق، ولا يلزمه ذلك، وقال جمهور العلماء: يلزمه حلقه. [1]

٩٥–السنة في أعمال الحج يوم النحر بعد الدفع من مزدلفة أربعة أعمال: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي أو ذبحه، ثم الحلق أو التقصير، ثم دخول مكة، فيطوف طواف الإفاضة، ويسعى بعده إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم، فإن كان سعي بعده كرهت إعادته، والسنة في هذه الأعمال الأربعة أن تكون مرتبة لحديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. [2] ويستحب إذا قدم منى أن لا يعرج على شيء قبل الرمي، بل يأتي الجمرة راكبا كما هو فيرميها، ثم يذهب، فينزل حيث شاء من منى للحديث المذكور. ويستحب نحر الهدي، وإنه يكون بمنى، ويجوز حيث شاء من بقاع الحرم، وأن الحلق نسك، وأنه أفضل من التقصير. وأنه يستحب فيه البداءة بالجانب الأيمن من رأس المحلوق للحديث السابق.

(يتبع)

***

[1] شرح صحيح مسلم ١/٤٢٠.

[2] رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمى ثم ينحر الخ.

الفقه الإسلامي

الحج: فضله وشروط وجوبه

أبو طلحة محمد إبراهيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وفرض الحج على كل مسلم استطاع إليه سبيلا، أما بعد:

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا} [١]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة". [٢]

لا يخفى على أحد من المسلمين أن الحج ركن مهم من أركان الإسلام، فرضه الله على الذين يستطيعون إليه سبيلا.

والحج في اللغة، معناه القصد، وهو بفتح الحاء، وبعضهم يكسر الحاء، فيقول: الحِجُّ والحِجَّة، وقرئ: ولله على الناس حِجّ البيت، والفتح أكثر. [٣]

والحج في الشرع: قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضا وسنة. [٤]

ولا شك أن الحج له أهمية كبرى ومرتبة عظمى في الإسلام، وقد ثبت فضله في كثير من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه". [٥] وإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: "لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور". [٦]

---

[١] آل عمران: ٩٧.

[٢] ابن ماجه: كتاب المناسك، باب الخروج إلى الحج، ح: ٢٨٨٣.

[٣] تهذيب اللغة: ٣/٣٨٧.

[٤] لسان العرب: ٢/٢٢٦.

[٥] صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم الحديث: ١٥٢١.

[٦] صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم الحديث: ١٥٢٠.

قال ابن خالويه: المبرور: المقبول، وقال غيره: الذي لا يخالطه شيء من الإثم، ورجحه النووي. وقال القرطبي: الأقوال التي ذكرت في تفسيره متقاربة المعنى، وهي أنه الحج الذي وفيت أحكامه، ووقع موقعا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل، والله أعلم. [١]

وقال عمر رضي الله عنه: شدوا الرحال في الحج، فإنه أحد الجهادين. [٢] وقال ابن حجر في الفتح: وتسمية الحج جهادا إما من باب التغليب أو على الحقيقة، والمراد جهاد النفس لما فيه من إدخال المشقة على البدن والمال. [٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال حج مبرور. [٤] وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج والمعتمر. [٥] وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحج والعمرة جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة، فقد روى الإمام النسائي في سننه بإسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة". [٦] وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم على أداء هذا الركن ورغب فيه بقوله: "تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد". [٧]

هذه الأحاديث كلها تدل على فضل الحج ووجوبه على المسلمين الذين يستطيعون إليه سبيلا، والمؤمنين الذين يملكون الزاد والراحلة فمن كان قادرا على ذلك واستطاع السبيل إلى بيت الله الحرام فعليه الإسراع لأداء هذه الفريضة من غير تأخير، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة وتعرض الحاجة". [٨]

هذا، وقد ذكر العلماء لوجوب الحج شروطا، نذكرها فيما يلي:

---

[١] فتح الباري: ٣/٤٨٧.
[٢] صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج على الرحل، رقم الحديث: ١٥١٦.
[٣] فتح الباري: ٣/٤٨٦.
[٤] صحيح البجاري: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم الحديث: ١٥١٩.
[٥] سنن النسائي: ٢/٥٥٧، باب فضل الحج، وصححه الألباني.
[٦] سنن النسائي: ٢/٥٥٧، باب فضل الحج، وحسنه الألباني.
[٧] صحيح الجامع الصغير: ١/٥٦٠، رقم الحديث: ٢٩٠٠.
[٨] رواه ابن ماجه في سننه، وحسنه الألباني، باب الخروج إلى الحج من كتاب المناسك.

فمن هذه الشروط: الإسلام، فلا يصح حج كافر، ولا يشترط التكليف. [١] قال ابن قدامة: وأما الكافر فغير مخاطب بفروع الدين خطابا يلزمه أداءولا يوجب قضاء. [٢] ومن هذه الشروط: الاستطاعة، وقد قسمها الإمام النووي إلى نوعين: استطاعة مباشرة بنفسه، واستطاعة تحصل بغيره، فالنوع الأول: يتعلق بخمسة أمور: الراحلة، والزاد، والطريق، والبدن، وإمكان السير. والثاني: هو أن يحج عن شخص غيره إذاعجز عن الحج بموت، أو كسر، أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله، أو كان كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أصلا، أو لا يثبت إلا بمشقة شديدة. [٣]

وقال ابن قدامة: وجملة ذلک أن الحج إنما يجب بخمس شرائط: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة، لا نعلم في هذا كله اختلافا. فأما الصبي والمجنون فليسا بمكلفين. [٤] واستدل بهذا الحديث: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل. [٥]

وقال أبو القاسم: ومن ملک زادا وراحلة، وهو بالغ عاقل لزمه الحج والعمرة. [٦]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله! ما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل إذا ملک زادا وراحلة وجب عليه الحج، وفي إسناده إبراهيم بن يزيد هو الخوزي المكي، قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قِبل حفظه. [٧]

قال العلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري في شرحه: قوله: ما يوجب الحج أي ما شرط وجوب الحج؟ قال: "الزاد والراحلة" يعني الحج واجب على من وجدهما ذهابا وإيابا. والظاهر أن الترمذي حسنه لشواهده. [٨]

---

[١] روضة الطالبين للنووي: كتاب الحج، رقم الصفحة: ٣٥٦.
[٢] المغني لابن قدامة: ٥/٦.
[٣] ملخص من روضة الطالبين: ٣٥٦–٣٦٠.
[٤] المغني لابن قدامة: ٥/٦.
[٥] رواه الترمذي في سننه: أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، وصححه الألباني.
[٦] المغني: ٥/٦.
[٧] سنن الترمذي، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة.
[٨] تحفة الأحوذي: ٣/٤٥٧.

وذكر ابن قدامة في كتابه "الكافي" أن الزاد هو ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وكسوة في ذهابه ورجوعه، فإن وجد ذلك لذهابه دون رجوعه لم يلزمه الحج، لأن عليه في غربته ضررا ومشقة وغيبة ومعاشه وإن وجد ما يكفيه لذهابه ورجوعه بثمن مثله في الغلاء والرخص، أو بزيادة لا تجحف بما له لزمه، وتعتبر القدرة على الماء وعلف البهائم في منازل الطريق على ما جرت به العادة، ولا يكلف حمل ذلك من بلده لما فيه من المشقة التي لا يمكن تحملها، ويعتبر قدرته على أوعية الزاد والراحلة لأنه لا يستغنى عنها. [١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} (البقرة: ١٩٧) [٢] وقد ذكر ابن حجر العسقلاني قول مقاتل بن حيان: لما نزلت قام رجل فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! ما نجد زادا؟ فقال: تزود ما تكف به وجهك عن الناس، وخير ما تزودتم التقوى. [٣]

وقد حكى في البحر عن الأكثر أن الزاد شرط وجوب، وهو أن يجد ما يكفيه ويكفي من يعول حتى يرجع. [٤] وذكر ابن كثير في تفسيره قول العوفي عن ابن عباس: كان أناس يخرجون من أهليتهم ليست معهم أزودة، يقولون: نحج بيت الله ولا يطعمنا؟ فقال الله: تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس. [٥]

وقال العلامة المحدث عبيد الله المباركفوري في شرح قوله "فإن خير الزاد التقوى": هو إخبار بأن خير الزاد اتقاء المنهيات، فكأنه قال اتقوا الله في إتيان ما أمركم به من الخروج بالزاد، فإن خير الزاد التقوى، وقيل المعنى: فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر من الهلكة والحاجة إلى السؤال والتكفف. [٦]

سأل رجل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: إنه رجل يريد أن يقضي فريضة الحج لهذا العام، ولكنه استدان مبلغا من المال من البنك ويسدد المبلغ على أقساط شهرية، ولا تنتهي مدة التسديد إلا بعد ستة أشهر من الآن، يقول هذا السائل بعد ذلك: فهل يجب عليّ

---

[١] الكافي: ٣/٣١.
[٢] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى".
[٣] فتح الباري: ٣/٤٩٠.
[٤] نيل الأوطار: ٤/٥٩٤.
[٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/٤٨٤.
[٦] مرعاة المفاتيح: ٨/٣٠٦، طبع الجامعة السلفية، بنارس.

الحج وأداء الفريضة علما بأنني اقترضت المبلغ قبل أن أفكر بأداء الفريضة ولفرض آخر، أفيدوني عن ذلك جزاكم الله خيرا. فأجابه بقوله: إذا كنت تستطيع مؤونة الحج وقضاء الدين في وقته وجب عليك الحج لعموم قوله سبحانه: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا} (آل عمران: ٩٧) فإن كنت لا تستطيع مؤونة الحج مع قضاء الدين لم يجب عليك الحج للآية الكريمة وما جاء في معناها من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [١]

أما المعضوب فتلزمه الاستنابة في الجملة سواء طرأ العضب بعد الوجوب أو بلغ معضوبا واجدا للمال. قال الإمام النووي: فمقطوع اليدين أو الرجلين إذا أمكنه الثبوت على الراحلة من غير مشقة شديدة لا تجوز له الاستنابة، ولا تجوز أيضا لمن لا يثبت على الراحلة لمرض يرجى زواله. [٢] وقد جاء في حديث أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في الحج، وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يستوي على ظهر البعير، قال: "حجي عنه". [٣] يدل هذا الحديث على أنه يجوز الحج من الولد عن والده إذا كان غير قادر على الحج. [٤]

وهكذا يجب الحج عن الميت إذا كان قد وجب عليه، فعن ابن عباس أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم حُجي عنها، أرأيتِ لو كان على أمكِ دين أكنتِ قاضيته، اقضوا الله فالله أحق بالوفاء. [٥]

قال الشوكاني رحمه الله: فيه دليل على إجزاء الحج عن الميت من الولد، وكذلك من غيره، ويدل على ذلك قوله: "اقضوا الله فالله أحق بالوفاء". [٦]

وأما القادر على الحج بنفسه فلا تجوز له الاستنابة في الفرض. [٧]

ومن شراط الحج: أن يكون في أشهر معلومات، ذكر ابن كثير في تفسيره قول ابن عباس: لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في شهور الحج من أجل قول الله تعالى: الحج أشهر

---

[١] مجموع الفتاوى، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: ٥١/٦.
[٢] روضة الطالبين، كتاب الحج، ص: ٣٦٠.
[٣] صحيح الترمذي للألباني، كتاب الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت، رقم الحديث: ٩٢٨.
[٤] نيل الأوطار: ٥٩٢/٤.
[٥] رواه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة.
[٦] نيل الأوطار: ٥٩٣/٤.
[٧] الكافي لابن قدامة: ٣١٤/٢.

معلومات، قال البخاري: قال ابن عمر: هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة. [١] وهل يجب الحج على العبد أم لا؟ نقل العلامة عبيد الله المباركفوري قول النووي: قد أجمعت الأمة على أن العبد لا يلزمه الحج، لأن منافعه مستحقة لسيده، فليس هو مستطيعا، ويصح منه الحج بإذن سيده، وبغير إذنه بلا خلاف عندنا. [٢] وكذلك هل يجب على الفقير الذي عادته سؤال الناس في بلده وعادة الناس إعطاؤه: فذهب أكثر المالكية أنه يعد بذلك مستطيعا وأن تحصيله زاده بذلك السؤال يعد استطاعة، وقال الشنقيطي: والذي يظهر لي رجحناه بالدليل أن الحج لا يجب على من يعيش في طريقه يتكفف الناس وأن سؤال الناس لا يعد استطاعة، ومن الأدلة الدالة على ذلك عموم قوله: {ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج} (٩–٩٢) [٣]

وأما بالنسبة للمرأة فلها شرط زائد للحج غير ما ذكر، وهو أن لا تسافر المراة إلا مع ذي محرم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم، فقال رجل يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج، فقال: اخرج معها. [٤]

قال العلامة ابن حجر في الفتح: "لا تسافر المرأة إلا مع محرم" عام في كل سفر فيدخل فيه الحج. [٥] وفرق سفيان الثوري بين المسافة البعيدة فمنعها دون القريبة. وتمسك أحمد بعموم الحديث فقال: إذا لم تجد زوجا أو محرما لا يجب عليها الحج. وقد نقل ابن حجر حديثا رواه الدارقطني من طريق ابن جريج عن عمرو ابن دينار بلفظ: لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم، وقال: فنص في نفس الحديث على منع الحج فكيف يخص من بقية الأسفار، والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات، وفي قول تكفي امرأة واحدة ثقة، وفي قول نقله الكرابيسي وصححه في المهذب: تسافر وحدها إذا كان الطريق آمنا. [٦]

لكن قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل: اخرج معها: فأخذ بظاهره بعض أهل العلم فأوجب على الزوج السفر مع امرأته إذا لم يكن لها غيره، وبه قال أحمد. [٧] وهذا هو الصحيح كما ظهر من خلال مطالعة شروح الحديث المشهورة. والله أعلم بالصواب. **

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٧٨/١.
[٢] مرعاة المفاتيح: ٢٨٢/٦، كتاب المناسك.
[٣] مرعاة المفاتيح: ٢٨٣/٦، كتاب المناسك.
[٤] رواه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء.
[٥] فتح الباري: ٧٧/٤، كتاب جزاء الصيد.
[٦] فتح الباري: ٧٦/٤، كتاب جزاء الصيد.
[٧] فتح الباري: ٧٧/٤، كتاب جزاء الصيد.

العقيدة الإسلامية

البدعة وآثارها السيئة على المجتمع

محمد شاكر علي محمد لياقت علي/مالده

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينا، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قد نبه الذين أوتوا العلم من المسلمين على خطورة البدع منذ فجر الإسلام، فألفوا المؤلفات الكثيرة الجليلة في ذلك، ولا شك أن الاقبال على البدع والتلبس بها ازداد في عصرنا هذا، ولكننا نجد طائفة منهم لا تزال تنكر هذه المبتدعات وتصدع بالحق، وتحذر المسلمين من الوقوع في البدع وترد على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والرسالات والإذاعات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار). [١]

وانما البدع والمحدثات والمنكرات كثيرة ولا أصل لها من الدين ولا أساس لها من الصحة، فلا يمكن لي أن أذكر كلها في مثل هذا المقام الضيق، لأن الصفحات لا تسمح لي بذلك، فأحب أن أشير إلى ما توجد منها في العصر الحاضر، فأذكر أولا معنى البدعة من حيث اللغة والشرع.

البدعة في اللغة: هي مأخوذة من البدعة، وهو اختراع الشيء على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: {بديع السماوات والأرض} [٢] أي مخترعها على غير مثال سابق.

البدعة في الشرع: الطريقة المخترعة في الدين تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح. [٣]

والبدعة في الدين لها نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات المعتزلة والروافض والقاديانية والجهمية وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

---

[١] أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب في لزوم الجماعة، رقم الحديث ٢٢٥٥.

[٢] سورة البقرة: ١١٧.

[٣] الاعتصام للإمام الشاطبي ج١ص٣٧.

النوع الثاني: بدعة في العبادات كالتعبد لله سبحانه وتعالى بعبادة لم يشرعها، وهي قد تكون في أصل العبادة بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياما غير مشروع أو أعيادا غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

وقد تكون بالزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر.

وقد تكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة.

وقد تكون بتخصيص الأوقات للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصص يوم النصف من شعبان بالصيام وليلته بالقيام.

حكم البدعة: كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[1]، وقال في حديث آخر: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[2]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة كلها تدل على أن كل محدث في الدين فهو بدعة وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ليس لها أصل في الشرع.

وأما من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة قبيحة فهو مخطئ مخالف لقوله: {وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة} لأن الرسول حكم على البدع كلها بأنها ضلالة.

وقد اغتر بهذا التقسيم كثير من العلماء وضل من أجله كثير من المتصوفة المتفقهين المقلدين الجامدين والجهال والعوام، وليس لهؤلاء دليل على البدعة الحسنة إلا قول عمر في صلاة التراويح: "نعمت البدعة هذه"[3] والجواب عن ذلك أن صلاة التراويح لها أصل في الشرع فليست محدثة، لأن النبي قد صلاها بأصحابه عدة ليال، وانما ترك ذلك خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة يصلونها في حياة النبي وبعد وفاته إلى إن جمعهم عمر بن الخطاب خلف إمام واحد كما كانوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا بدعة في الدين. وأما ما قال عمر "نعمت البدعة هذه" فإنه أراد بذلك بدعة لغوية لا شرعية.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ثم ذلك العمل الذي عليه دل الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سمى بدعة في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في

---

[1] أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، الحديث رقم: ١٤٦٠٧.

[2] أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب اذا اصلحوا على صلح جور فهو مردود، الحديث رقم: ٢٦٩٧.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل من قام رمضان، الحديث رقم: ٢٠١٠.

الشريعة، وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم "كل بدعة ضلالة" لم يرد به كل عمل مبتدأ، فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم وإذا كان كذلك فإن النبي قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى، وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا: "إنه لم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن يفرض عليكم وذلك في رمضان"[١] فعلل عدم الخروج بخشية الافتراض... الخ.[٢]

والبدع التي توجد في هذا الزمان كثيرة كالاحتفال بيوم عاشوراء، وبالمولد النبوي، وبليلة الاسراء والمعراج، وبليلة النصف من شعبان، وإحداث صلاة لم يشرعها الله كصلاة الرغائب وتخصيص ليال وأيام بعينها بعبادة معتادة كأول خميس من رجب وليلة أول جمعة وليلة النصف منه، والغلو في الأنبياء الصالحين كما تفعل طوائف من المتصوفة وبناء المساجد على القبور، والطواف بها، ودعاء أهلها من دون الله، والتعبد بالأصوات والسماع، والطرب والرقص ونحو ذلك من البدع والخرافات والشركيات التي وقع فيها كثير من الجهال والمبتدعين من جراء تشبههم بالأمم الأخرى في عاداتهم وطقوسهم مصداقا لقوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟"[٣] فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم.

وههنا أذكر بعض البدع مع الإيجاز التي ابتلي بها المجتمع الإسلامي وتبدو آثارها عليه.

الاحتفال بالمولد النبوي: يحتفل جهلة المسلمين أو العلماء المضلين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المخصوصة بذلك، ويحضره كثير من الجهال، يعملون ذلك تشبها بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام، والغالب أن هذا الاحتفال مع كونه بدعة لا تخلو من اشتماله على الشركيات والمنكرات كاختلاط النساء بالرجال وإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدحه. فقال: "لا

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تحريض النبي على قيام الليل والنوافل.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ص٥٩٠، ٥٩١.

[٣] أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم، الحديث رقم (٧٣٢٠).

تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبـد الله ورسـوله"[١]
والإطراء معناه: الغلو في المدح، وربما يظنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر احتفالاتهم ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة. ومن المنكرات التي تصاحب هـذه الاحتفـالات الأناشـيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، فهذه كلها بدعة، لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة، وانما حدث متأخرا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي عيدا مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف، ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سننه باطنا وظاهرا، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.[٢]

البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله:

إنما البدع المحدثة في مجال العبادات كثيرة في هذا العصر، لأن الأصل في العبادات أن لا يشرع فيها إلا ما يشرعه الله، وما لم يدل عليه الشرع فهو بدعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[٣] والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جدا.

منها: التلفظ بالنية، بأن يقول: نويت أن أصلي لله كذا وكذا، وهذا بدعة لأنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحل النية القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها: الذكر الجماعي بعد الصلاة، لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردا.

ومنها: النياحة على الأموات وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين، يظنون أن ذلك من باب العزاء، أو أن ذلك ينفع الميت، وكل ذلك بدعة، ليس لها أصل في الدين، وما أنزل الله بها من سلطان.

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، الحديث رقم: ٣٤٤٥.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ص٦١٠.

[٣] صحيح مسلم ج٢ كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

ومنها: الاحتفالات بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج، ومناسبة الهجرة النبوية، وهذه الاحتفالات والأعياد المحدثة دسيسة من دسائس المبطلين، وغفلة وجهل من أكثر المسلمين.

ومن ذلك: ما أحدث بعض الناس في شهر رجب كعمرة الرجبية، وتعظيم أول خميس من رجب، وليلة تلك الجمعة، وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به، كالتطوع بالصيام والصلاة التي تسمى صلاة الرغائب، فإن تعظيم هذا اليوم والليلة إنما حدث في الاسلام بعد القرن الرابع الهجري، وقد نهى المحققون من العلماء عن إفراد هذا اليوم بالصوم وعن هذه الصلاة المحدثة، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنعة الأطعمة وإظهار الزينة ونحو ذلك حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من الأيام وحتى لا يكون له مزية أصلا.

ومن ذلك: الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع ومحدثات، كالتصفيق حالة الذكر، وغير ذلك، لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك: تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام وتخصيص يومها بالصيام، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء ولا عن أصحابه الذين يجوز الاعتماد عليهم.

ومن ذلك: تقديس الموتى وقبورهم والبناء عليها واتخاذها المساجد، وتخصيص النذور لها، والذبح عندها، ودعاء أصحابها من دون الله، وشد الرحال إليها، والعكوف عليها، والمجاورة عندها، والصلاة عندها، وزيادتها لأجل التبرك بها، ونحو ذلك مما هو معروف منتشر بين المسلمين.

وختاما: إن البدعة هي بريد الكفر وزيادة في الدين، لم يشرعها الله ولا رسوله، والبدعة تميت السنة، وهي سبب الهلاك، لأنها تقود إلى ترك السنة، وفي ذلك ضلال بعيد، وهي شر من المعصية الكبيرة، والشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة، لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية، فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة وهو يعتقد أنها دين يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها.

فينبغي لنا اليوم أن تكون لنا الشخصيات المميزة والأخلاق والعادات الطيبة الكريمة، وما كان من سمات الكفار اليوم من عادات وتقاليد ونحو ذلك من الشعارات التي لا مستند لها من كتاب الله وسنة رسوله، فعلينا أن نجتنبها، ولا نغتر بكثرة من يفعلها من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، والله المسؤول أن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويخذل أعداءه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

***

شخصية إسلامية

الشيخ المربي الدكتور جاويد أعظم رحمه الله

راشد حسن بن فضل حق المباركفوري

إننا فوجئنا بوفاة الدكتور جاويد أعظم في ٢٧/محرم الحرام ١٤٣٣هـ وقد تلقت هذا الخبر الدوائر العلمية بقلق بالغ وحزن عميق، فرحمه الله رحمة واسعة وأنزل عليه شآبيب الرحمة والرضوان، وكتبه مع الأبرار والصديقين، وفي سطور تالية حاولت ذكر نبذ من حياته رحمه الله.

اسمه ونسبه ونشأته التعليمية: إن الفقيد رحمه الله ولد في اليوم السابع من شهر رجب سنة ١٣٦٩ من الهجرة في مدينة بنارس الواقعة في شمال الهند، وكان ينتمي إلى أسرة دينية معروفة بالتمسك بالكتاب والسنة والسير على منهج السلف الصالح، وقد أكرمها الله جل وعلا بحظ وافر من الثروة والجاه وقسط موفور من العمل والتقى، إنه قد بدأ دراسته في مسقط رأسه في بيته، ثم التحق بالجامعة السلفية ببنارس، وروى غليله وشفى عليله في هذه الجامعة، واستفاد من أساتذتها البارعين، ونهل من منهلها الصافي العذب، والفقيد رحمه الله قد جاوز مرحلتي العالمية والفضيلة في الجامعة، ثم للارتواء المتزايد حمل عصا الترحال للمملكة العربية السعودية، والتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وانتظم في سلك طلابها، وهذه الجامعة قد أضاءت له طريق العلم السوي الصحيح، واستنار بها الفقيد رحمه الله في حياته العلمية، وصقل بها قدراته في ميدان العلم، وحصل على شهادة الليسانس فيها، وذلك في سنة ١٣٩٧هـ، ثم شهادة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم حصل على شهادة الدكتوراه، وأكرم بها في الجامعة نفسها، وذلك عام ١٤١٣ من الهجرة.

من شيوخه في الهند:

١- الشيخ محمد إدريس آزاد الرحماني (م١٩٧٨م) ٢- الشيخ شمس الحق السلفي (م١٩٨٦م)
٣- الشيخ عبد المعيد البنارسي (م١٩٧٩م) ٤- الشيخ عبد الوحيد الرحماني (م١٩٩٧م)
٥- الشيخ الدكتور مقتدى حسن الأزهري (م٢٠٠٩م) ٦- الشيخ محمد رئيس الندوي (م٢٠٠٩م)
٧- الشيخ عابد حسن الرحماني (م٢٠٠٩م) ٨- الشيخ عبد الحميد الرحماني حفظه الله

من شيوخه العرب:

١- الشيخ حماد الأنصاري ٢- الشيخ صالح العراقي

٣–الشيخ عبد الله الغنيمان	٤–الشيخ الدكتور ربيع هادي المدخلي
٥–الشيخ مشرف العمري	٦–الشيخ رمضان أبو العرب
٧–الدكتور عبد العظيم الشناوي	٨–الشيخ محمود عبد الوهاب الفائدة
٩- الشيخ محمد محمد أبو قرحة	١٠–الشيخ حسن مقبول
١١–الشيخ يوسف النجار	١٢–الشيخ عبد العزيز البهني
١٣–الشيخ عبد الكريم المراد	١٤–الشيخ صالح المحسن
١٥–الشيخ محمد المجذوب	١٦–الدكتور أحمد محمود الأحمدي
١٧–الدكتور محمد أبو زهو	١٨–الدكتور مصطفى أمين التازي
١٩–الدكتور أحمد نور سيف	٢٠–الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

كان الفقيد رحمه الله بعد الحصول على العلوم الشرعية والشهادات العلمية قد عين مدرسا في "جامعة الملك فيصل بن عبد العزيز، كلية الآداب للبنات" ودرّس الكتب الحديثية ولاسيما "الكتب الستة" وذلك ما بين ١٤١٤هـ و ١٤٣٠هـ، ثم بعد القيام بهذه الخدمات الجليلة بمدة ليست يسيرة رجع إلى مسقط رأسه ومحل أنسه "مدينة بنارس" التي شرفها عديد من العلماء البارزين والأفذاذ المعروفين من مشارق الأرض ومغاربها عربا وعجما، فاستغل مسؤولو الجامعة السلفية هذه الفرصة ووجهوا الدعوة إلى الفقيد للقيام بالتدريس في الجامعة، فلبى دعوتهم، وبدأ بتدريس كتاب "الموطأ للإمام مالك" ولا شك أنه كان مؤهلا لهذه المهمة الخطيرة، وكان لا يزال يقوم بمسؤوليته حتى وافاه الأجل في يوم الجمعة صباحا ٢٧/١/١٤٣٣هـ المصادف ٢٣/١٢/٢٠١١م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

صلتي بالفقيد:

كان من رغباتي الأكيدة وأمنياتي الصادقة أن أنخرط بسلك الطلب بالجامعة السلفية، أقتطف من رياضها، وأتكرع من حياضها، فحقق الله هذه الأمنية وأدركت مبتغاي، وبلغت ما تمنيته، وسجلت بالقبول في الجامعة السلفية كطالب، وبدأت أدرس بجد واجتهاد، وفي السنة الثانية من مرحلة الفضيلة كان العلامة الدكتور مقتدى حسن الأزهري يدرس كتب التفسير وما يتصل بها من العلوم، فهذا الذي كانت النفس تصبو إليه صبوا وتتوق إليه توقان الطائر إلى وكره، ولمع في عيوننا بريق الأمل، لكن سرعان ما تخيب أملنا وتبدد وعاجلته المنية رحمه الله رحمة واسعة. ثم أخبرت بأن فضيلة الدكتور جاويد أعظم انتخب رئيسا للجامعة

خلفا للدكتور الأزهري، فسررت بذلك، وحمدت الله عز وجل على هذا. وكان الدكتور جاويد يعطف علي كثيرا، وكان يشجعني دائما على الطلب والجد والاجتهاد. وقد تيسر لي في هذه الأثناء أن أشارك في مسابقة الحديث النبوي، المنعقدة في مدينة بنجلور، والحمد لله الذي بمحض توفيقه ومنه حصلت على الدرجة الأولى في هذه المسابقة. وعم الفرح والسرور طلبة الجامعة وأساتذتها ومسؤوليها. وقد كان الدكتور جاويد أعظم رحب بي ترحيبا حارا، بعد ما رجعت إلى الجامعة، وأكرمني بجائزة قيمة بصورة كتب، رحمه الله رحمة واسعة، فالله أحسن مثواك وسقى ثراك وأكرم نزلك أيها المربي العظيم والأستاذ البصير والرئيس المتواضع، إنه كان لا يقابلني مدة إقامتي بالجامعة كطالب في الجامعة إلا بابتسامة وبحفاوة بالغة، ولا يلقاني إلا بطلاقة وجه، وكنت أرى دائما في جبهته إكليل السعادة ونور المجد، وكانت صلته بالجامعة السلفية وطيدة خالصة من الشوائب المادية والمنفعة الذاتية قبل تولي مسؤولية رئاستها وبعده. إنه كان حريصا على توفير جميع التسهيلات المادية والمعنوية في الجامعة وتسليح الطلاب بالأسلحة العلمية والعملية، إنني لم أقرأ عليه كطالب رسمي ولم أتلق عنه تلقي التلميذ عن الأستاذ لأنه كان يدرس في السنة الأولى من الفضيلة كتاب "الموطأ للإمام مالك" وكنت آنذاك في السنة النهائية من الفضيلة، ولكنني سمعت عمن أثق بهم أنه كان يحسن في القيام بمهمة التدريس.

والآن أذكر بهذه المناسبة بعض الأبيات التي قرضها رجل من خثعم، وذكرها أبو تمام في ديوانه:

نعم الفتى فجعت به إخوانه ... يوم البقيع حوادث الأيام
سهل الفنـاء إذا حللت ببابه ... طلق اليدين مؤدب الخدام
وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيها ذوو الأرحام

وأخيرا أدعو الله تعالى سبحانه أن يتغمده بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه وكل من ترك وراءه من الأساتذة والطلبة في داخل الجامعة السلفية وخارجها الصبر والسلوان، وأختم كلماتي بإهداء بعض الأبيات إليه، يقول أشمع بن عمرو الأسلمي:

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها ... لقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال في معناه مطيع بن إياس:

يا خير من يحسن البكاء له الـ ... ـيوم ومن كان أمس للمدح

***

حلية طالب العلم

المحاذير

(الحلقة الأخيرة)

د. بكر بن عبد الله أبو زيد

٥٤- حلم اليقظة:

إياك و "حلم اليقظة" ومنه بأن تدعي العلم لما لم تعلم، أو إتقان ما لم تتقن، فإن فعلت فهو حجاب كثيف عن العلم.

٥٥- احذر أن تكون "أبا شبر" فقد قيل [١]:

العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول: تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني: تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث: علم أنه ما يعلم.

٥٦- التصدر قبل التأهل:

احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة في العلم والعمل.

٥٧- التنمر بالعلم:

احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه أثار البحث فيها، ليُظهر علمه، وكم في هذا من سوأة أقلها: أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وقد بينت هذه مع أخوات لها في كتاب "التعالم" والحمد لله رب العالمين.

٥٨- تحبير الكاغد:

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية [٢]، والذي نهايته "تحبير الكاغد" فالحذر الحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تسجل به عارا، وتبدي به شنارا، أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته وتعددت معارفه، وتمرس بـه: بحثـا،

---

[١] تذكرة السامع والمتكلم ص٦٥.

[٢] أول من ذكرها ابن حزم في: نقط العروس. وانظر تسلسل العلماء لذكرها في: إضاءة الراموس ٢/٢٨٨، مهم.

ومراجعة ومطالعة، وجردا لمطولاته، وحفظا لمختصراته، واستذكارا لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.

ولا تنس قول الخطيب: من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.

٥٩- موقفك من وهم من سبقك:

إذا ظفرت بوهم لعالم فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط، وأوهام، لاسيما المكثرين منهم.

وما يشغب بهذا، ويفرح به للتنقص إلا متعالم "يريد أن يُطِبّ زكاما فيحدث به جذاما".[١]

نعم ينبه على خطأ، أو وهم وقع لإمام غُمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه والحط عليه فيغتر به من هو مثله.

٦٠- دفع الشبهات[٢]:

لا تجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يرد عليها، فاجتنب إثارة الشبه، وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها حمالة الحطب -المبتدعة- فتوقهم.

٦١- احذر اللحن:

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكتب، فإن عدم اللحن جلالة وصفاء ذوق ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني. فعن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة، رواه الخطيب في الجامع[٣]، وأسند أيضا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن[٤].

وأسند أيضا عن الرحبي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحّان، فكتب عن اللحان لحان آخر، فكتب عن اللحان لحان آخر، صار الحديث بالفارسية[٥].

---

[١] مجمع البلاغة للراغب.

[٢] مفتاح دار السعادة ص١٥٣.

[٣] الجامع ٢/٢٥.

[٤] الجامع ٢/٢٨، ٢٩.

[٥] الجامع ٢/٢٨.

وأنشد المبرد[1]:

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن
فـإذا أردت من العـلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن[2]

وعليه فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة رحمه الله تعالى: تعلم النحو أوله شغل وآخره بغي، ولا بقول بشر الحافي رحمه الله تعالى لما قيل له: تعلم النحو قال: أضل، قال: قل ضرب زيد عمروا، قال بشر: يا أخي لم ضربه؟ قال: يا أبا نصر، ما ضربه وإنما هذا أصل وضع، فقال بشر: هذا أوله كذب لا حاجة لي فيه. رواهما الخطيب في اقتضاء العلم العمل.

٦٢ــ الإجهاض الفكري:

احذر "الإجهاض الفكري" بإخراج الفكرة قبل نضوجها.

٦٣ــ الإسرائيليات الجديدة[3]:

احذر الإسرائيليات الجديدة في نفثات المستشرقين من يهود ونصارى، فهي أشد نكاية، وأعظم خطرا من "الإسرائيليات القديمة"، فإن هذه قد وضح أمرها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها، أما الجديدة المتسربة إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورة الحضارية واتصال العالم بعضه ببعض، وكبح المد الإسلامي، فهي شر محض، وبلاء متدفق، وقد أخذت بعض المسلمين عنها سنة وخفض الجناح لها آخرون، فاحذر أن تقع فيها، وقى الله المسلمين شرها.

٦٤ــ احذر الجدل البيزنطي[4]:

أي الجدل العقيم، أو الضئيل، فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة، والعدو على أبواب بلدتهم حتى داهمهم.

وهكذا الجدل الضئيل يصد عن السبيل.

---

[1] الجامع ٢/ ٢٨.

[2] لبعض العلماء تعقيب على ما أنشده المبرد من أن أجل العلوم: علم التوحيد، لكن الجلالة هنا نسبية إلى: علوم الآله. والله أعلم.

[3] مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي ص ب.

[4] معجم التراكيب ص ٢٨٠.

وهدي السلف: الكف عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع، كما قال الحسن، إذ سمع قوما يتجادلون "هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول، وقل ورعهم فتكلموا". رواه أحمد في: الزهد، وأبو نعيم في: الحلية، وذكره ابن رجب في: فضل علم السلف على الخلف.

٦٥– لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها [1]:

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام. فيا طالب العلم بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل وادع إلى الله تعالى، على طريقة السلف، ولا تكن خراجا ولاجا في الجماعات فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهج، والمسلمون جميعهم هم الجماعة وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام، وأعيذك بالله أن تتصدع فتكون نهابا بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية تعقد سلطان الولاء والبراء عليها. فكن طالب علم على الجادة تقفو الأثر، وتتبع السنن تدعو إلى الله على بصيرة، عارفا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم، وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي، فاحذر رحمك الله أحزابا وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرا، وتفرقه هدرا، إلا من رحمه ربك فصار على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند علامة أهل العبودية [2].

(العلامة الثانية: قوله: "ولم ينسبوا إلى اسم" أي لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق.

وأيضا: فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه. فيعرفون به دون غيره من الأعمال. فإن هذا آفة في العبودية. وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف

---

[1] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣٤١–٣٤٤، ٤١٥–٤١٦، ٤١٩فهو مهم، ٤/٤٦–١٥٤مهم أيضا، ١١/٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٣/٣٤٢، ٤١٦–٤٢١فهرسها ٣٦/١٧٩–١٨٠، ٣٧/٢٨.

[2] مدارج السالكين.

صاحبها باسم معين من معاني أسمائها. فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها. فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم. فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي. بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه قال الاتباع. وعن خرقته؟ قال لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟ قال (٦: ٥٢ يريدون وجهه) وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال (٢٤: ٣٦ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال "مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها. ترد الماء. وترعى الشجر، حتى تلقى ربها".

واحسرتاه تقضى العمر، وانصرمت ساعاته بين ذل العجز والكسل
والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل اهـ

ثم قال قوله: "أولئك ذخائر الله حيث كانوا" ذخائر الملك: ما يخبأ عنده، ويذخره لمهماته، ولا يبذله لكل أحد. وكذلك ذخيرة الرجل: ما يذخره لحوائجه ومهماته. وهؤلاء —لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، غير مشار إليهم. ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسم طريق، أو مذهب، أو شيخ أو زي— كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة. وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات. فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية، والأوضاع المتداولة الحادثة، هذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله، وهم لا يشعرون. والعجب أن أهلها: هم المعروفون بالطلب والإرادة، والسير إلى الله. وهم —إلا الواحد بعد الواحد— المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود.

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى "السنة".

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس: من يتقيد بلباس غيره. أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى

منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره. وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه. فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه. قد قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة. فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة، وتفريغ القلب. ويعد العلم قاطعا له عن الطريق. فإذا ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: عد ذلك فضولا وشرا. وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم. وعدوه غيرا عليهم. فهؤلاء أبعد الناس عن الله. وإن كانوا أكثر إشارة، والله أعلم) اهـ.

٦٦– نواقض هذه الحلية:

يا أخي – وقانا الله وإياك العثرات – إن كنت قرأت مثلا من حلية طالب العلم وآدابه، وعلمت بعضا من نواقضها، فاعلم أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها:

١– إفشاء السر.

٢– ونقل الكلام من قوم إلى آخرين.

٣– والصلف واللسانة.

٤– وكثرة المزاح.

٥– والدخول في حديث بين اثنين.

٦– والحقد.

٧– والحسد.

٨– وسوء الظن.

٩– ومجالسة المبتدعة.

١٠– ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة خفيف، لعاب، مغتاب، نمام، فأنى لك أن تكون طالب علم، يشار إليك بالبنان، منعما بالعلم والعمل. سدد الله الخطى، ومنح الجميع التقوى، وحسن العاقبة في الآخرة والأولى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

ركن الطلاب

"وإرشاد أستاذ..."

نسيم أختر بن عبد المجيد
السنة الثانية للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله الذي من علينا بجلائل النعم وأسبغ علينا عظائم الكرم، وعلّمنا ما لم نعلم، والصلاة والسلام على حبيبه محمد العربي جامع الفضائل والشيم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نعيش اليوم في عصر كثرت فيه المعارف وتشعبت، وبلغت العلوم بالناس إلى تقنيات سهلت الوصول إلى الكواكب والأقمار، وأحدثت المراكب والمطيات التي جعلت الناس يقطعون أسفارا ذات مسيرة شهور في ساعات، وهيأت مواقع الانترنت شؤون الاتصال سهلة حتى أصبح الناس يستطلعون أحوال ساكني أقصى الشرق والغرب بطرفة عين، ولكن وللأسف قد غيرت العلوم مع ما فيها من الأعاجيب فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها. فأصبح يثق بنفسه فوق التقدير والتصور، فيحسب نفسه عالما غنيا عن الاستفادة وإسناد ركبه إلى معلم، وملازمة الطلب أمام أستاذ ذي خبرة، فصار العلم لديه ذريعة الحصول على الأموال والثروات وعلى أسباب النعمة والرفاهية، ولا تهفو نفسه إلى المجد والفضيلة أبدا.

وقد أنتجت تلك الظاهرة عدة مشاكل تقاسي مجتمعاتنا آلامها، فمن حصيلتها قلة إجلال العلم والعلماء، وعدم توقير الأكابر وذهاب الهوية الإسلامية الشرقية.

وفي هذا المقال أريد بيان دور الأساتذة في بناء المجتمع وإسهامهم الواضح في إعداد الجيل الأمثل حتى يطلع المطلعون على ذلك، ويعرفوا قدر المعلمين والمربين وضرورة الاستفادة منهم، ولا يغترون بما هم عليه من التقاط المعلومات عبر وسائل الإعلام الحديثة، فأقول وبالله التوفيق:

الأول: الناس عالة على الأساتذة مهما تغيرت الظروف وكثرت وسائل الاطلاع، ومهما توسعت الثقافات وزخرت المكتبات بالكتب والدواوين، فإن هذه الإمكانيات في أصلها وسائل لا أهداف، تحتاج إلى من يرشد الناس إلى طرق الاستفادة منها، فهؤلاء الأنبياء والرسل الذين بعثوا إلى أقوام وقرى ومناطق عدة، بعثوا لتعليم أممهم وإرشاد خلق الله إلى ما فيه خير لهم، كما يدل على ذلك قول الله عز وجل: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم

رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة} (سورة آل عمران: ١٦٤) والعلماء ورثة الأنبياء وإنما ورثوا العلم.

الثاني: لفظ التعليم يفيد حسب تصريح أهل اللغة أنه هو التحصيل بالتدريج مفرقا في مجالس أو في وقفات، ونبينا محمد العربي كان أميا لا يدري الكتابة والقراءة، فأنزل الله عليه القرآن منجما كي يثبت عنده ويحفظه كما قال عز شأنه: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتّلناه ترتيلا} (الفرقان: ٣٢) وهذا يقتضي التواصل وملازمة الطلب.

الثالث: والإنسان مهما أوتي من حدة الذكاء والدهاء لا يتمكن على استقصاء جميع العلوم والفنون ولو صرف جل عمره، ولابد له من الرجوع إلى من هو أوسع منه علما وثقافة، فقصة موسى عليه السلام مع خضر تدل على ذلك بوضوح كما في نص البخاري: "قام موسى النبي خطيبا في بني اسرائيل، فسئل أي الناس أعلم، فقال أنا أعلم، فعتب الله عز وجل عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، إلى أن قال موسى عليه السلام لخضر "هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا". [1]

فما دام رسول من الرسل يحتاج إلى استزادة العلم والرجوع إلى من هو أعلم منه، فنحن أولى منه بالافتقار، إذ خفي علينا كثير من الأسرار والحكم الشرعية.

الرابع: إن الطالب يحتاج إلى إرشاد المعلم وتوجيهه قطعا، إذ قد يضل الطالب لعدم صلاحية التمييز بين الغث والسمين، كما حدث مع بعض الأعلام الذين اشتهروا بكتاباتهم المؤثرة، لكنهم ضلوا عن طريق الصواب لفقدان إرشاد الأستاذ، وما أجمل هذا البيت للإمام الشافعي رحمه الله بهذا الصدد:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وإرشاد أستاذ وطول زمان

الخامس: وقد فضل الله بعض عباده بالعلم على بعض كما فضل بعضا في الرزق والمعيشة على بعض، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، كما قال عز من قائل: {وفوق كل ذي علم عليم} (يوسف: ٧٦) وسنة التتلمذ جارية مستمرة منذ قديم الزمان، وفي حياة سلفنا الصالح أمثلة كثيرة تدل على رواج هذا النظام، فكلما سمعوا عن شخص أرفع منهم درجة في العلم طاروا بجناح الشوق إليه، فقد عقد الإمام البخاري بابا بلفظ: "باب الخروج في طلب العلم"

---

[1] صحيح البخاري: كتاب العلم، حديث رقم: ١٢٢.

وقال في ترجمة الباب: "ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد"[1] وبوب رحمه الله أيضا بقوله "باب الرحلة في المسألة النازلة".[2]

السادس: الكلمات والصيغ التي تدل على الطلب والتحصيل والتعلم هي الأخرى تدل على ما نحن فيه.

مثل: التلقي والتلقين والسماع والقراءة والتحديث، وهذه صيغ التحمل تفيد بضرورة كون الطالب أمام أستاذ وشيخ حتى يصح سماعه منه ويتم الاستفادة، أما إذا كان الطالب في جانب على الشبكة العنكبوتية التي هي بمثابة الأستاذ والمعلم: فهل تغني الشبكة عن المعلم، وتكون بديلا عن طرق التحمل المذكورة؟

السابع: إن التعليم لا ينفع الأجيال إذا كانت التربية معدومة، قال الله سبحانه وتعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} (آل عمران: ٧٩) قال ابن عباس: ربانيين: أي حكماء علماء فقهاء، ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[3]، وكان من مهمات الأنبياء التعليم مع التزكية والتربية، ولذلك قال جل وعلا: {ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (آل عمران:) فالمشايخ والأساتذة العظام يهتمون بتربية الطلبة مع تعليمهم منذ القدم تمشيا على منهج النبوة.

وهذه التربية تترك آثارا طيبة على نفوس الدارسين، فيجل الطالب أستاذه إجلال الأب، بل فوق ذلك، ويضمر له المحبة والاحترام، فها هو الإمام مسلم رحمه الله، جاء إلى الإمام البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين ويا سيد المحدثين ويا طبيب الحديث في علله.[4]

فخلاصة الكلام أن الأساتذة والمشايخ هم البناؤون لمستقبل أولاد القوم في الميادين كلها، فهم يبذلون النصح لأكباد المجتمع بتوجيهاتهم السديدة وتعليمهم القيم النافع، فلا يمكن تجاهل دورهم الفعال، ولا يحل تصغير شأنهم، ولا يستهان بقيمتهم.

أيها القوم! اعرفوا امكانة المشايخ والأساتذة، وأخلصوا لهم الود والوفاء، وأكرموا العلماء، وأنزلوهم منازلهم قبل أن يقبض العلم بقبضهم، ويسود الجهل والفوضى على المجتمع البشري.

اللهم ارزقنا علما نافعا وعملا صالحا وتوفيقا لما تحبه وترضاه.***

---

[1] صحيح البخاري مع الفتح ١/٢٢٨.

[2] صحيح البخاري مع الفتح ١/٢٤٣.

[3] صحيح البخاري مع الفتح ١/٢١١.

[4] هدي الساري مقدمة فتح الباري ص ٦٧٥.

من أخبار الجامعة السلفية

اجتماع خاص للنظر في شؤون البحث والتحقيق:

في يوم السبت: ٢٧/١٠/١٤٣٣هـ = ١٥/٩/٢٠١٢م تم عقد اجتماع خاص في قاعة دار الضيافة بالجامعة السلفية برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، الأمين العام للجامعة السلفية، شارك فيه عدد من العلماء والباحثين من مدينة مئونات بنجن إلى جانب أساتذة الجامعة السلفية.

وكان الغرض من هذا الاجتماع هو البحث عن سبل تطوير العمل البحثي، والنظر في سير العمل في مجال التعليق والتحشية على كتب الحديث الشريف المقررة في المناهج الدراسية بالمدارس والجامعات الإسلامية، وقد تم في الاجتماع عرض الأعمال التي أنجزت إلى الآن بهذا الخصوص، وكذلك المشاريع والمخططات التي لا تزال تنتظر التنفيذ والتطبيق.

وفد الجامعة السلفية في مسابقة حفظ القرآن الكريم وتفسيره في كاتماندو:

بدعوة من مركز التوحيد، كرشنانغر، نيبال، شارك وفد من مدرسي الجامعة السلفية مكون من كل من فضيلة الشيخ الحافظ عبد الحكيم الفيضي، المشرف على قسم تحفيظ القرآن الكريم بالجامعة، وفضيلة الشيخ أسعد الأعظمي، رئيس تحرير مجلة صوت الأمة، والمدرس بالجامعة السلفية، وقد وكل إلى الوفد مسؤولية تحكيم مسابقة حفظ القرآن الكريم بفرعيها: (القرآن كاملا، و٢٠/ جزءا) وقد كلف الشيخ أسعد الأعظمي بإلقاء كلمة في الحفل الختامي للمسابقة، الذي شرفه السفير المصري لدى دولة نيبال الدكتور مصطفى الجندي وعدد من الشخصيات الكبار من دولة نيبال والهند، وكان لوفد الجامعة شرف الحضور في الحفل الذي رعاه سعادة رئيس جمهورية نيبال في مكتبه لتكريم الفائزين الأوائل في هذه المسابقة.

إجازة عيد الأضحى بالجامعة:

تبدأ إجازة عيد الأضحى بالجامعة السلفية وفروعها المختلفة من يوم الثلاثاء السادس من شهر ذي الحجة ١٤٣٣هـ = ٢٣/١٠/٢٠١٢م وتستمر حتى نهاية يوم الخميس ١٥/١٢/١٤٣٣هـ = ١/١١/٢٠١٢م، وتبدأ الدراسة من يوم السبت ١٧/١٢/١٤٣٣هـ = ٣/١١/٢٠١٢م بإذن الله تعالى.

***